سلسلة المفهومات القرآنية

المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية

د. عبد الرحمن حللي

دار الزيادة للنشر والتوزيع

دار المنتقى للطباعة والنشر والتوزيع

التصنيف الموضوعي: 211,9
الموضوع: دراسات قرآنية
العنوان: المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية
التأليف: د. عبد الرحمن حللي
عدد الصفحات: 96
قياس: 14×20
عدد النسخ: 1000
الترقيم الدولي (ISBN): 978-9933-9050-9-5
الطبعة الأولى
1432 هـ / 2011 م
جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي
وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من **دار الملتقى**

سورية ـ دمشق
هاتف: 2245145 – 11 - 00963
تلفاكس: 2245840 – 11 -00963
ص.ب: 11881
E-mail: arriyadah@gmail.com

سورية ـ حلب ـ طلعة الإنشاءات
هاتف: 2214067 – 21 - 00963
تلفاكس: 2289341 – 21 -00963
www.dar-almultaka.net
E-mail: info@dar-almultaka.net

المدخل إلى
دراسة المفهومات القرآنية

المدخل إلى دراسة المفهومات القرآنية

د.عبد الرحمن حللي

دار الملتقى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله منزل الكتاب، "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" [هود/١]، والصلاة والسلام على رسوله محمد خاتم النبيين، خاطبه ربه فقال:"وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [الشورى/٥٢]، وبعد:

فلقد حظي القرآن الكريم بعدد من العلوم نشأت في الحضارة الإسلامية لفهمه واكتناه معانيه، وكانت هذه العلوم ولا تزال تتطور وتثري الدرس القرآني وتعمق المعرفة بدقائق نظم القرآن وإحكام آياته وتفاصيلها.

وإن طبيعة الدراسات القرآنية تقتضي أن يظل فيها التجدد والإبداع مستمراً، إذ موضوعها هو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، لكن هذا الإبداع لا يتأتى إلا من خلال الضبط المنهجي واستثمار ما أمكن من العلوم والأدوات الصالحة لذلك، والعمق العلمي هو مؤشر الجدَّة والإضافة في هذا المجال، وهذا العمق يحتاج إلى مقدمات منهجية قلما يصبر عليها الدارسون، وغالباً ما يسيء المرتجلون والعجلون

في الدراسات القرآنية، إذ تتحول أعمالهم إلى مسخٍ مشوَّه، أو نسخٍ مُمَـزق، أو جمعٍ مُفَرق، كل ذلك يجري بالرغم من وجـود تـراكم معـرفي ـ تـراثي ومعاصر ـ مهـم حـول منهجيـة الدرس القـرآني وآفاقـه، ولا يـزال هـذا التراكم ينمو وتضاف إليه لبنات معاصرة تعكس وعياً معمقـاً بالآفـاق الرحبة لدراسة القرآن الكريم والعلوم المتصلة به.

وتأتي هذه السلـسلة حـول "المفهومـات القرآنيـة" إثـراء للمعـارف القرآنية، فتضع مدخلاً منهجياً يكشف عن أفق هذا اللون مـن الدرس القرآني، وتجسد هذا الطموح بنماذج تطبيقية وعملية لدراسة المفهومات القرآنية كنموذج للتـدبر في محكـم القـرآن وتفـصيل آياتـه، والمـتجلي بوضوح في ضبط المفهومات الكلية المعبَّر بها عن تكامل المعنى القـرآني في أماكن ورودها التفصيلية، وستكون هذه السلسلة خطاً يـشتمل على نماذج من الدراسات المفهومية التي تنضبط بالمحـددات المنهجيـة الـتي يرسمها المدخل لدراسة هذه المفهومات، والتي تنم عن الآفاق التي يرومها هذا اللون من الدرس، وهي إن بدت دراسات متفرقة في عناوين أجزائهـا فإن الخيط المفهومي الجامع بينها سيقود القـارئ إلى الوصـل بينهـا وبـين المفهومات القرآنية الأخرى، وإن كل مفهوم منها يمثـل وحـدة متكاملـة وعنصراً في حقل مفهومي أشمل، ولا يدرك معناه في سياق فلكه المفهـومي ما لم يدرس مستقلاً أولاً.

وستجعل دراسة هذه المفهومات ـ كنموذج ـ قارئ القرآن بعدها يتذوق معنى جديداً فيه، هو لون من ألوان الإحكام والتفصيل والتشابه بين آياته.

وبكلمة يمكن القول .. إنها مقاربات في التدبر تبحث عن التي هي أقوم.

والله الموفق..

د.عبد الرحمن حللي

تمهيد:

يتميز النص القرآني بخصائص تجعل منه مَعيناً يمكن لقارئه ومتدبره أن يدرك معنى وصفه بأنه لا يخلق على كثرة الرد، وكونه نصاً معادلاً للوحي الإلهي في التاريخ وبديلاً عنه في مرحلة ختم النبوة، هذه الخصائص تنبع من **بنائية القرآن المطلقة**[1]، وتكتسب هذه الصفة من البعد الإلهي للنص، لا من حيث مصدره فحسب إنما من حيث استمرارية الحفظ الإلهي له وطابعه المهيمن.

هذه الإطلاقية إنما تتجلى عبر **منهجية القرآن المعرفية**[2] والتي قاربت

---

(١) يختص النص القرآني عن غيره من النصوص بكونه ينتسب إلى لغة البشر دون أن يتقيد بنسبيتها، فلغة القرآن وبناؤه التركيبي والبلاغي له صفة الإطلاق بحيث لا يمكن أن يحصر فهمه بتاريخية معينة سواء كانت لغوية أو اجتماعية أو ثقافية، دون أن ينفي ذلك أن الإحاطة بمعطيات تاريخ عصر النزول شرط معرفي للفهم، فإطلاق المعنى القرآني ينبع من صفة الإلهي، وهذه الإطلاقية لا يمكن مقاربتها من قبل البشر إلا من خلال تنزلها في قوانين التواصل البشري (اللغة)، فالإعجاز القرآني يتجلى من خلال تضمين معنى إلهي في قالب لغوي يفهمه البشر، فكانت بنائية اللغة القرآنية من جميع وجوهها تتسم بالإطلاقية التي هي صفة الإلهي مصدر النص.

(٢) تنزل القرآن عبر مراحل معالجاً أحداثاً آنية في عصر النزول، ومقتضى ظاهر العلاقة بين الحدث والتنزيل حصر تلك المعالجة القرآنية بظرفها المقتضي الآني لها، لكن منهجية القرآن في معالجته المباشرة لتلك الأحداث الآنية كانت تتسم بخاصية تنتقل من تلك الظرفية النسبية إلى صفة القرآن الأساسية وهي الإطلاق، هذه المنهجية في معالجة النسبي وإضفاء بعد إطلاقي للمعالجة هي ما قصدناه بمنهجية القرآن المعرفية، والتي لها أبعاد أخرى تتصل بطبيعة العلاقة بين النص والكون والإنسان.

عصر النزول بما هو واقع محسوس لتنتقل بهذه المعالجة التاريخية إلى القيم القرآنية المطلقة التي كُلِّف الناس بمقاربتها، فكان النص القرآني ينطلق من ظروف عصر النزول ليفتح أنظار المتلقي إلى آفاق أرحب وأوسع مما هو بحاجة إليه في لحظة النزول تلك، وبذلك كان القرآن نصاً يعالج الحدث التاريخي بلغة ومنهجية تتعالى عليه وتشده إلى المستقبل عبر صياغة نصية موحاة من الله تتسم بالاستمرارية، وذلك من خلال صموده رغم تغيرات الزمان والمكان وأوصافه القرآنية تدل على ذلك، فأصبح معيناً يمكن للإنسان أن يهتدي من خلال مقاربته ـ والتي هي نسبية بطبيعة الحال ـ إلى التي هي أقوم.

وبقراءة أفقية للتفاسير والدراسات القرآنية بما هي مقاربات للنص، نجدها تكرر نفسها وتتنزل بلبوس جديد، وقلما تضيف جديداً فضلاً عن أن تحل مشكلاً، لكن الوعي قائم بإمكانية وأهمية تثوير القرآن واكتشاف الإضافة في فهمه واكتناه معانيه، ويزداد هذا الجانب أهمية مع الحملة ـ القديمة الجديدة ـ التي يتعرض لها القرآن من خلال الخلط المتعمد بين أخطاء بعض المسلمين وبين القرآن كمصدر للإسلام تعزى إليه تلك الأخطاء.

وفي إطار المحاولات في تطوير الدراسات القرآنية برز **الاهتمام بالمفردات القرآنية** وما كان يعرف بعلم الوجوه والنظائر، وأخذ لدى المتأخرين اسم المصطلحات أو المفهومات القرآنية، لكن معظم ما صدر في هذا الإطار لم يكن إلا تنسيقاً جديداً للتفاسير القرآنية، فلم يقدم جديداً غير الشكل، فكانت الأزمة في تلك المقاربات منهجية، كما هو الشأن في معظم مقاربات

التجديد في الفكر الإسلامي والتي تهتم بالعناوين والشكل دون الغوص في الإشكال المنهجي، ما تحاوله هذه المقاربة كمدخل لدراسة المفهومات القرآنية هو العناية بالجانب المنهجي وذلك من خلال المحاور التالية:

- تسليط الضوء على المسار التاريخي الذي آل بالدراسات القرآنية إلى دراسة المفهومات والمصطلحات القرآنية ضمن ما يعرف بالتفسير الموضوعي، وهذا ما سنبينه تحت عنوان: "**مناهج التفسير/ محاولات الخروج من مأزق الإسقاط**".
- إبراز أهمية اللغة والدراسات اللغوية المعاصرة في منهجية دراسة المفهومات والمصطلحات القرآنية، مع محاولة تحديد خطوات منهجية لدرس المفهومات، وهذا ما سنبينه تحت عنوان: "**المدخل اللغوي في مقاربة المنهج**".
- تأطير معنى المفهوم ومعنى المصطلح من خلال دراستهما في جوانبهما اللغوية والفلسفية والتداولية، وبيان الفرق بينهما، وتحديد مصادر المفهومات والمصطلحات، وتنزيل ما استخلصناه من هذه الدراسة على المفردات القرآنية، وهذا ما سنبينه تحت عنوان: "**المفهوم والمصطلح والفرق بينهما**" .
- أهمية العناية ببنية النص القرآني والانطلاق منه في الدرس القرآني الحديث، وتتبع وعي المفسرين بهذا الجانب، وذلك تحت عنوان:"**بنية القرآن مدخلاً لإعادة القراءة**".

-توظيف علم الدلالة الحديث في دراسة المفهومات القرآنية، وذلك من خلال استعراض وتقييم تجربة الباحث الياباني توشيهكو إيزوتسو في هذا المجال "**علم الدلالة والدرس القرآني: مقاربة توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu نموذجاً**".

مناهج التفسير
محاولات الخروج من مأزق الإسقاط

كثرت التفاسير والمقاربات للنص القرآني قديماً وحديثاً وتعددت المناهج واصطبغت بالمذاهب الفقهية والكلامية والتيارات الفكرية، فترددت تلك المقاربات بين الوفاء للنص في اكتشاف معانية وبين إسقاط المعاني عليه والتعسف في تأويله بما يتناسب مع توجهات المفسر[1]، وفي سعي لتجاوز المزالق المذهبية في التفاسير ظهرت عدة محاولات لاكتشاف معاني القرآن من خلال بنيته الداخلية، فظهر ما يسمى بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وهي فكرة قديمة تجد جذورها عند الجاحظ، لكنها استحضرت مؤخراً كمنطلق لما غدا يعرف بالتفسير الموضوعي، الذي يسعى ـ من خلال

---

(١) انظر: فريدة زمرد، "**تفسير القرآن:من التوجيه المذهبي إلى المدخل المصطلحي**"، مجلة الإحياء-الرباط، العدد:٢٧/ صفر ١٤٢٩هـ-فبراير٢٠٠٨م، ص٨٤-٩٣، وقد تعددت الدراسات التي تحلل وتنقد مناهج المفسرين حتى أُفرد عدد من المفسرين بدراسات خاصة بهم، وللاطلاع على رصد للتفاسير القديمة ونقدها يمكن مراجعة: ابن عاشور، محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**، تونس:دار سحنون للنشر والتوزيع، بالتعاون مع دار السلام بالقاهرة، ط:٢٠٠٨، الذهبي، محمد حسين. **التفسير والمفسرون**. بيروت: دار القلم، د.ت، وحول التفاسير المعاصرة ومناهجها انظر: النيفر، احميده. **الإنسان والقرآن وجهاً لوجه**. دمشق :دار الفكر، ط:١/٢٠٠٠م، وأيضاً: فضل حسن عباس، **المفسرون:مدارسهم ومناهجهم**. عمان:دار النفائس، ط:١/ ٢٠٠٧م.

تتبع موضوع ما في جميع القرآن، أو اكتشاف موضوع يشكل رابطاً لكل سورة بمفردها ـ إلى تفسير القرآن بعيداً ما أمكن عن قَبليات القارئ وأملاً في تصحيح كثير من الاستنباطات والأحكام التي اختلف فيها أصحاب الفنون[1]، لكن معظم هذه المحاولات سقطت في نفس الفخ الذي هربت منه إذ انطلقت إلى التفسير الموضوعي من خلال تجميع ما ورد في التفسير التحليلي وتركيبه بما هو عليه، فلم تختلف إلا صورة البحث وقالبه فقط، ومكمن ذلك افتقارها إلى المنهجية الشمولية المنضبطة[2].

ولنفس الأسباب أعيد الاهتمام المعاصر بعلم له صلة وثقى بعلوم القرآن والتفسير هو: **علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ويُعنى بالألفاظ القرآنية المستخدمة على أكثر من وجه، وهو علم لصيق بعلوم العربية لكنه منحصر في السياق القرآني وتعود جذوره إلى القرن الثاني الهجري، وظهرت أهميته مؤخراً مع تطور المناهج اللغوية وتركيزها على السياق في تحديد المعنى وتوجيه فهم المفسر، وهو نفس التوجه الذي كان سلكه مؤلفو كتب الوجوه والنظائر قديماً، فكان في العودة إلى مناهجهم ـ على اختلافها ـ ودراستها

---

(١) انظر:سعيد، عبد الستار، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**. مصر:دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٨٦م، ص: ٥٣-٥٤.

(٢) انظر:الدغامين، زياد خليل محمد. **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**. عمان: دار البشير، ط:١/ ١٩٩٥م، ص:٣١، وحول التفسير الموضوعي وإشكالية المنهج فيه انظر: رشواني، سامر عبد الرحمن، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، حلب:دار الملتقى، ط:١/٢٠٠٩، وهو من أهم ما كتب في منهج التفسير الموضوعي، وأصله رسالة جامعية.

مُعين في تطوير مناهج التفسير وإحياء مكانة اللغة فيها، فظهرت فكرة المصطلح القرآني[1].

وفي إطار ما غدت تحتله اللغة من مكانة في تفسير النصوص عموماً ظهرت في الدراسات العربية جهود تقتفي أثر تطور العلوم اللغوية واللسانية في الغرب على اختلاف تياراتها وتباينها وتناقضها وخلفياتها، فظهرت تيارات لغوية عربية متناقضة تتلقف أثر هذه التيارات دون نقد لها أو مراعاة لخلفياتها الفلسفية أو التاريخية، أو لما تعرضت له من نقد ضمن أوساط نشأتها، والبعض الآخر حاول تطبيقها على النصوص العربية فأبعدت هذه التطبيقات النصوص عن تجلياتها لدى القارئ وزادتها غموضاً، بل أوصدت تلك التطبيقات التعسفية ما كان يمكن أن تفتحه هذه العلوم من آفاق لتطوير البحث اللغوي العربي وما يتعلق به[2]، وما دامت هذه المناهج

---

(1) حول علم الوجوه والنظائر انظر: شلبي، هند، **مقدمة تحقيقها لكتاب التصاريف ليحيى ابن سلام**، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٠م، وحول مقارنة هذا العلم بالمناهج اللغوية المعاصرة انظر: العوا، سلوى محمد، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، القاهرة: دار الشروق، ط:١/١٩٩٨م، وهو دراسة قيمة في موضوعه أصله رسالة جامعية، وحول فكرة المصطلح القرآني وصلتها بالتفسير الموضوعي، انظر: رشواني، سامر، "**منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**" ، م.س ، ص:١٧٧ وما بعدها .

(2)حول المناهج اللغوية المعاصرة وموقف الحداثيين العرب منها انظر كتابي عبد العزيز حمودة. **المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك**. الكويت:سلسلة عالم المعرفة،عدد:٢٣٢ / أبريل ١٩٩٨م، **والمرايا المقعرة:نحو نظرية نقدية عربية** . الكويت:سلسلة عالم المعرفة، عدد:٢٧٢/أغسطس ٢٠٠١م .

مضطربة ومثيرة للجدل في أوساطها فضلاً عن تطبيقاتها المستنسخة في غير سياقاتها في النصوص العربية، فإنها ستكون مثيرة للجدل أكثر عندما تطبق على النص القرآني، وكانت المحاولات في هذا المجال ظاهرة الخلل إذ كان دور المناهج في هذه المحاولات توظيفياً وبمثابة الغطاء (للأيديولوجيا) التي تحكم تلك المحاولات[1]، لكن ذلك التوظيف لم يمنع بعض الباحثين من الاستفادة من تطور علوم اللغة بشكل عام، وتوظيفه في تطوير مناهج اللغة العربية وإعادة اكتشاف قوانينها وآلياتها.

لكن النص القرآني الذي هو مدار الدراسات اللغوية القديمة لم ينله من المناهج اللغوية الحديثة إلا الحظ الزهيد، وكانت معظم المقاربات التي تناولته وصفية تحليلية[2]، دون أن يمنع ذلك من ظهور بعض الدراسات القرآنية الجادة التي قاربت بين المناهج اللغوية العربية وتطورات العلوم اللغوية المعاصرة، وقد ظهرت محاولات وما تزال تقارب النص القرآني مراعية الأبعاد

---

(١) يمكن الإشارة إلى محاولات نصر حامد أبو زيد في مفهوم النص، ومحمد شحرور في الكتاب والقرآن، وما صدر حولهما (انظر في نقدهما: قويسم، إلياس ."**إشكالية قراءة النص القرآني في الفكر العربي المعاصر/ نصر حامد أبو زيد نموذجاً**"، (رسالة دراسات معمقة، جامعة الزيتونة: المعهد الأعلى لأصول الدين– ٢٠٠٠م)، المنجد، ماهر. **الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن/دراسة نقدية لكتاب محمد شحرور**. دمشق: دار الفكر ط:١/١٩٩٤م، الحاج إبراهيم، عبد الرحمن "**ظاهرة القراءة المعاصرة للقرآن :أيديولوجيا الحداثة**" مجلة الملتقى– بيروت (عدد:٠٠/١٩٩٩) ص:٤-٦.

(٢) انظر: الجطلاوي، الهادي "**أشد الألفاظ تواتراً في القرآن**" مجلة كلية دار المعلمين-سوسة (عدد:١/١٩٩١) ص:٢٦ .

الثلاثة المشار إليها، أعني الوحدة الموضوعية، والمفردات القرآنية، والمناهج اللغوية، فانطلقت في التفسير الموضوعي من خلال دراسة المفردات القرآنية وبمدخل لغوي في تحديد دلالاتها، ويفترض هذا التوجه مركزية المفهوم والمصطلح القرآني في تحديد دلالة النص ضمن وحدته البنائية[1].

---

(١) من أقدم المحاولات الصريحة والحديثة في هذا التوجه، ما قام به أبو الأعلى المودودي في (**المصطلحات الأربعة: الإله، الرب، العبادة، الدين**) وقد نشرها أول مرة عام ١٩٤٠ في مجلة أصدرها بعنوان (ترجمان القرآن) وقد طبع المقال كتاباً مستقلاً عدة مرات وصدر عن دار القلم بالكويت، ومن المحاولات في هذا المجال دراسة محمد أبو القاسم حاج حمد: **العالمية الإسلامية الثانية**، والتي ينطلق فيها من اعتبار المفردة القرآنية مصطلحاً ينبغي فهمه ضمن سياقه القرآني وبنية القرآن الخاصة، لكن المجال التطبيقي لم يبق في إطار المفهومات عنده وكان مدخلاً لدراسة فلسفية (انظر:الطبعة الثانية من كتابه، بيروت ١٩٩٦م ج:١ ص:٥٧ وما بعدها، وص:١٦٧ وما بعدها)، وهناك عدد من الباحثين الذين وعدوا بإنجاز مشاريع من هذا القبيل ولم يصدروا شيئاً بعد، من ذلك ما يشتغل عليه الباحث الأستاذ نبيل خياط، (ومن الإصدارات التي حملت عناوين المصطلحات أو المفهومات القرآنية: عضيمة، صالح .**مصطلحات قرآنية**. لندن/بيروت:الجامعة العربية للعلوم الإسلامية، دار النصر، ط١/ ١٩٩٤م، المويل، محمد كمال. **المصطلحات القرآنية: ما اتفق لفظه وتناقض معناه**.دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ط١/١٩٩٨م، بري، عبد اللطيف .**قاموس المفاهيم القرآنية/التفسير الموضوعي التحليلي المقارن في كتاب الله**. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط:١/ ١٩٩٩)، كما توجد محاولات لدراسة بعض المفردات القرآنية مستقلة (من ذلك: حسن، غالب "**الكلمة في القرآن / مقاربة في المجال الدلالي والوظيفي**"، مجلة قضايا إسلامية معاصرة – بيروت، عدد:٦ (١٩٩٩م) ص: ٢٢٥-٢٥٩، سليمان، سمير .**خطاب الكلمة في القرآن : قراءة في نظام دلالاتها العامة ودلالاتها السننية**. طهران: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، ١٩٨٩م)، ويمكن أن نلاحظ على معظم ما كتب في الموضوع، أن

ولقد وعى المشتغلون بالتفسير وعلوم القرآن ذلك قديماً، فنبه الراغب الأصفهاني (ت: القرن الخامس الهجري) في مقدمة كتابه "مفردات ألفاظ القرآن" إلى أهمية العناية بالعلوم اللفظية وتحقيق الألفاظ المفردة في القرآن واعتبر أهمية ذلك تتعدى علوم القرآن[1]، وكان كتابه المفردات مساهمة في هذا الجهد الأوسع الذي كان يطمح إليه[2].

استخدام تعبير المصطلحات أو المفاهيم القرآنية قد تطرق إليه الكثير من التجاوز والتعميم الذي يبتعد عن دلالاته العلمية، وغدا التصنيف على هذا الاعتبار بمثابة تصنيف ألفبائي لبعض الأفكار القرآنية بينما معالجتها لا تعدو تجميع المعلومات المتفرقة تحت اسم المفهوم أو المصطلح القرآني رغم التنظير الذي يبدو في مقدمة المصنفات معبراً عن وعي بخصوصية دراسة المفهوم والمصطلح.

ومن الدراسات المهمة التي يمكن الإشارة إليها وسنشير إليها لاحقاً، مشروع بحثي مغربي يشرف عليه الدكتور الشاهد الوشيخي، وذلك من خلال **مركز الدراسات المصطلحية**، وقد تجسد المشروع من خلال سلسلة من الدراسات والرسائل الجامعية، ونشير أيضاً إلى رسالة ماجستير بعنوان:"**دلالة المفردة القرآنية:دراسة لسانية أصولية مقارنة**" أعدها الأستاذ عبد الرحمن الحاج إبراهيم، وقدمت في كلية الإمام الأوزاعي بيروت عام ٢٠٠٦.

(١) انظر: الأصفهاني، الراغب .**مفردات ألفاظ القرآن**. ت: صفوان عدنان داوودي، دمشق:دار القلم ، ط:٣/٢٠٠٢م ، ص: ٥٤-٥٥ .

(٢) انظر: فوضيل، مصطفى "**نظرات مصطلحية في كتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني**"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد: ١٧ السنة:٥ (صيف/١٩٩٩م) ص: ١٣٨-١٣٩.

المدخل اللغوي في مقاربة المنهج

الوعي بضرورة مراعاة بنية النص القرآني أعاد الاعتبار إلى المفردة القرآنية، وضرورة قراءة القرآن من خلال مقاربة مفرداته وإعادة تدبرها بمنهجية تتجاوز مشكلات المنهجيات التي اقتصرت على المعنى اللغوي المعجمي الذي يدرس معنى المفردة، فركزت على الاشتراك والتضاد والترادف من خلال التركيب، فالمفردة القرآنية تتجاوز المعنى المطروح للألفاظ في عصر النزول، وتأخذ المفردة في السياق القرآني معنى يتميز بالثبات من خلال الخصائص المميزة له والعلاقة السياقية أو الإسنادية للمفردة القرآنية، وكذلك الترابط بين مختلف المفردات القرآنية، هذه الخاصية تفرضها ماهية المفردات القرآنية التي لا تنفصل عن ماهية معنى القرآن[1]، فتتحول الكلمة القرآنية في خصوصياتها وسياقها وأساليب استعمالها في القرآن الكريم إلى عالم مكتنز ومفهوم ممتلئ بالإيحاءات والدلالات[2].

فكما تجاوزت البلاغة القرآنية بلاغة الشعر والخطابة الجاهليين بل قلبت العلاقة بين الشكل والموضوع بالنسبة لما كان مألوفاً عند العرب، فأصبحت

---

(١) انظر: أبو عزب ، سليمان عبد الله موسى "**الإبداع اللفظي في القرآن الكريم / دراسة نقدية**"، مجلة الجامعة الإسلامية – لندن، عدد:٥ (كانون الثاني–آذار ١٩٩٥م)، ص:١٠٣–١١٤.

(٢) انظر:بري، عبد اللطيف، **قاموس المفاهيم القرآنية**، م.س، ص:١٠

الصور والأشكال البلاغية تنبجس من خلالها روح جديدة وعقيدة واضحة تغير معنى الحياة وصورها[1]، فإنَّ اللغة القرآنية بشكل عام قدمت نسقاً لغوياً جديداً ينبغي اكتشاف خصائصه من داخل النص نفسه وبنيته وتراكيبه، لا بالقطع مع اللغة التي انطلق منها إنما بفهم ما أضافه إليها وارتقى به من مفرداتها في سياقاتها القرآنية التي لا يستقيم تفسيرها بالاقتصار على دلالة ألفاظها المعجمية، وأجلى ما تتضح به هذه النقلة القرآنية في اللغة هو المفردات القرآنية التي تعتبر بمثابة المفاتيح لفهم النص القرآني واكتناه معانيه، بما تحمله الكلمة القرآنية من خصائص حجاجية وتداولية[2]، فللنص القرآني دلالته الخاصة التي تتجاوز البعد البلاغي والاستخدام الجاهلي للغة[3].

هذه الميزة دفعت الباحث اللغوي توشيهكو إيزوتسو (Toshihko.Izutsu) إلى تطبيق علم الدلالة على النص القرآني واقتراح تسمية خاصة به (علم الدلالة

---

(١) انظر: النيفر، احميده "**بلاغة القرآن الكريم في مواجهة الشعر والخطابة الجاهليين**"، فصلة من النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين – تونس، العدد:٨ (١٩٨٥م)، ص: ٢٤٢.

(٢) انظر: صولة، عبد الله، **الحجاج في القرآن**. تونس: كلية الآداب –جامعة منوبة ط:١/٢٠٠١م ج:١ ص:٧٥ .

(٣)انظر: الصغير، محمد حسين علي، **تطور البحث الدلالي / دراسة تطبيقية في القرآن الكريم**، ص:٤٤ وما بعدها، كتاب متوفر على الانترنت دون إشارة إلى طبعته الورقية، ينظر تحت الوصلة التالية: http://www.rafed.net/books/ .

القرآني:Semantics of the Koran)، وذلك في إطار دراسته للمفهومات القرآنية المفتاحية التي تكشف عن الرؤية العالمية للقرآن أو الرؤية القرآنية للكون، فالقرآن يختص بنظام مفهومي يتجاوز المفهومات الفردية إذا أخذت منعزلة عن التركيب، فينبغي مراعاة كل مفهوم مفرد في علاقته بالمفهومات الأخرى في النظام العام الكلي للنص، فتلك الكلمات والمفهومات القرآنية ليست هي نفسها تلك الكلمات والمفهومات الفردية التي كانت مستخدمة قبل الإسلام، فالقرآن أعاد استخدام تلك المفهومات وأضفى عليها قيماً جديدة من خلال سياقها القرآني، وبإدراك هذا التحول في الاستخدام اللغوي يمكن الكشف عن الرؤية الكونية للقرآن[1]، هذا التحول في الاستخدام القرآني للمفردات هو ما يعرف في مختلف العلوم الإسلامية بالأسماء الشرعية.

ويرى أنه لا بد لدراسة المفهومات القرآنية من مراعاة معنيين: **الأول** هو المعنى المعجمي أو الأساسي أو المفهوم الضمني للكلمة (Basic Meaning) والذي تحفظ به كيانها أين أخذت وفي أي سياق وضعت، وأما المعنى **الثاني** فهو المعنى العلائقي أو السياقي للكلمة (Relational Meaning) وذلك عندما توضع الكلمة ضمن نظام خاص وتأخذ مكانها فيه مع كلمات أخرى، فتشحن بكثير من العناصر الدلالية الجديدة التي تنشأ من هذه الحالة الخاصة حتى إن السياق الجديد ليعدِّل أحياناً بشكل تام المعنى الأساسي للكلمة فنفقد المعنى الأساسي للكلمة ونشهد ولادة كلمة جديدة، وعَبَّر البعض عن المعنى الأول

(١) سنخصص فقرة خاصة بمنهج إيزوتسو وتأصيله للدرس الدلالي في فهم القرآن.

بالدلالة المركزية وعن الثاني بالدلالة الهامشية[1]، وقريب من هذين المعنيين ما يعبر عنه اللسانيون بالمحور الأفقي/ التعاقبي ويقصدون به العلاقة الأفقية (Syntagmatic) التي تربط بين المفردات الواردة داخل البنية اللغوية أو الجملة على أساس التتابع أو التعاقب، فهي علاقة تركيبية تقوم بين الكلمة وسائر الكلمات في الجملة، والمحور الرأسي / الاستبدالي ويقصدون به العلاقة الرأسية (Paradigmatic) والتي تمثل العلاقة بين اللفظة التي وردت في الجملة والألفاظ الأخرى التي لم ترد في النص، فهي علاقة تصريفية تقوم بين الكلمة المذكورة وكل ما يمت إليها بصلة لفظية أو معنوية من كلمات لم تذكر في النص، هذان المعنيان يجدان جذورهما في البلاغة العربية عند أصحاب نظرية النظم واصطلاحاتهم (اللفظ الحامل والمعنى القائم والرباط الناظم) أو علاقات الجوار وعلاقات الاختيار[2].

إذاً فدراسة المفردة القرآنية تقتضي تحديد الدلالة المعجمية بدءاً من الجذر وتحولها من دلالتها اللغوية إلى دلالتها الجديدة في سياقها القرآني وذلك من خلال معرفة مختلف سياقاتها في النص ومقارنتها، وربطها بمفردات أخرى تشكل معها مفاتيح بنية النص، وما يحمله اختيار تلك الكلمة وذاك الاشتقاق

---

(١) انظر: أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية، ط:٣/١٩٧٦م، ص:١٠٦-١٠٧.

(٢) انظر: حمودة، عبد العزيز، **المرايا المقعرة**، م.س، ص:٢٤٧-٢٥٢ ، الرويلي، ميجان، وسعد البازغي، **دليل الناقد الأدبي**، بيروت – الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي، ط:٢/٢٠٠٠م ، ص:٣٥.

من دلالة دون غيره للتعبير عن المعنى السياقي الجديد.

ولا بد لتحديد هذه الأبعاد من الاستعانة بـآليتين: **الأولى** دراسة اللفظ دراسة تاريخية تطورية (Diachronic)[1] قبل نزول القرآن إلى أن تأخذ الكلمة مكانها في سياق جديد في النص، وأهمية هذه الآلية تكمن في معرفة كيفية تحول المفردة ومدى استمرارية معناها اللغوي ودرجة انحيازها إلى معنى اصطلاحي داخل النص[2]، وكما تتم هذه الآلية لمسيرة المفردة قبل عصر النزول فيمكن أن تتم أيضاً داخل النص نفسه وذلك من خلال ملاحظة مسيرة المفردة القرآنية حسب ترتيب استخدامها التاريخي في القرآن أعني مقارنتها ما بين استخدامها في الآيات المكية والآيات المدنية، وهذا الجانب التاريخي يبقى ناقصاً ما لم يتبع بدراسة المفردة في سياقها النصي وفي لحظة انقطاعها عن التطور إذ تأخذ موقعها في النص ويثبت معناها في لحظتها ومكانها النصي، وهذه الآلية هي ما يسميه اللسانيون بـ الآنية أو التزامنية (Synchronic).

---

(١) انظر: الرويلي، ميجان، م.س: ٣٥.

(٢) استخدمت هذه الآلية من قبل بعض الباحثين – المستشرقين وتلاميذهم العرب – لتفسير القرآن تفسيراً تاريخياً، وذلك من خلال تفسير ألفاظه باعتبار استخداماتها الجاهلية أو في اللغات القديمة، وهذه المنهجية تخالف أنظمة اللغة عموماً والعربية بالخصوص باعتبار أن الاستخدام يحوّل الدلالة وتصبح المفردة في سياقها الجديد كلمة جديدة، ومن ناحية أخرى فإن اشتراك بعض الألفاظ القرآنية مع ألفاظ من نصوص دينية سابقة لا يدل على وحدة في معناها لاختلاف محدد المعنى في كل، ولهيمنة القرآن على ما سبقه من نصوص، فهي هيمنة لغوية أيضاً فيما يخص الألفاظ المشتركة.

من خلال هذه الأبعاد المنهجية المختلفة يمكننا أن نحدد الخطوات المنهجية التي يمكن أن تساعد في تحديد دلالة المفردة القرآنية وذلك بإتباع العناصر التالية:

- تحديد الجذر اللغوي للمفردة واشتقاقاته واستخلاص ما يدل عليه بالوضع أو الاستعمال.
- ملاحظة التطور التاريخي لاستخدامات المفردة ودلالاتها المختلفة قبل النزول، لاسيما في الشعر الجاهلي.
- ملاحظة مدى اختلاف استخدام المفردة داخل النص القرآني ضمن تاريخ النزول (ما بين المكي والمدني) .
- ملاحظة مدى استمرارية الاستخدام اللغوي للمفردة داخل النص أو التحول بها إلى معنى اصطلاحي خاص.
- دراسة المفردة في سياقها القرآني من خلال تركيب الجمل التي وردت فيها وما حف بها من مفردات أخرى.
- دراسة المفردة في ضوء مقارنتها بالسياقات المختلفة لاستخداماتها ضمن بنية النص القرآني الشاملة.
- دراسة المفردة في ضوء علاقتها بالمفردات ذات الصلة بها أو بموضوعها.

هذه الأبعاد تتشابك في تحديد دلالتها للمفردة القرآنية، لكنها ليست بالمتيسرة أو سهلة المنال، إذ من الصعوبات التي لا تخفى عند المعنيين بالقضايا اللغوية غياب معجم تاريخي للألفاظ العربية، وعدم مراعاة التطور الدلالي في

المعاجم المتوفرة[1]، ومما يزيد من صعوبة مقاربة من هذا القبيل الثقل التاريخي الذي تلقي به المصادر التاريخية المختلفة والتي تناولت أو استخدمت المصطلحات القرآنية لاسيما ما تداخل منها مع مصطلحات العلوم المتخصصة، وبالتالي فلا يمكن مقاربة المفردة القرآنية من غير الإحاطة بمعانيها في مدونات علوم التفسير والكلام وغيرهما، فتكون اللغة والاستخدام العلمي التاريخي للمصطلح القرآني بمثابة المدخل لفهم المصطلح القرآني[2].

---

(١) انظر: غرم الله زياد، صالح "**المصطلح الأدبي: بين غناه بالمعرفة وغناه في التاريخ**"، مجلة عالم الفكر- الكويت ، مجلد:٢٨، عدد:٣ (يناير- مارس٢٠٠٠م)، ص:١٠٧، والغريب أن أول إنتاج من هذا النوع قام به مستشرقون كالمعجم اللغوي التاريخي: للمستشرق الألماني أوغست فيشر، وقد أصدر مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة منه أوله من أول حرف الهمزة إلى (أبد)، (القاهرة ١٣٨٧هـ١٩٦٧م)، ومن المعاجم التاريخية التي قام بها المستشرقون: (تكملة المعاجم العربية- للهولندي رينهارت دوزي) وقد تُرجم منه ثمانية أجزاء كبيرة، (معجم اللغة العربية الفصحى – لعدّة مستشرقين ألمان بالاشتراك:كريمر، شبيتالر، جيتيه) ولم يترجم من الألمانية، انظر: بن حميد الحميد، عبد العزيز، ." **أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي – دراسة وتقويم**"، (رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٦ هـ)، المقدمة، وحول الدراسة التاريخية للمفردة القرآنية وإشكالياتها انظر: رشواني، سامر"**منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**" م.س، ص:١٨٠ وما بعدها .

(٢) نود الإشارة إلى أن ما سجلناه من منهجية لغوية تبدو معاصرة ومقتبسة من اللسانيات الحديثة إنما هي معطيات لا تخص لغة دون أخرى، كما أنها لا تعكس توجهاً فلسفياً يمكن أن يحيد بها عن موضوعيتها، هذا فضلاً عن اتساقها مع توجهات قديمة لدى علماء العربية لم يتم تطويرها أو الاستفادة منها في الدراسات القرآنية، وبهذا الاعتبار فإنا نستبعد ما يطبق من منهجيات لغوية مقتبسة من سياقاتها الخاصة والتي تعكس توجهاً فلسفياً أو

هذه المنهجية لدراسة المفردة القرآنية التي لخصنا أهم معالمها تحيلنا لإثارة تساؤل هام قلَّ من تطرق إليه وهو ما الفرق بين المفهوم والمصطلح عموماً وفي السياق النصي خصوصاً؟ والإجابة عليه لا تخص دراسة النص القرآني فالإشكال في الفرق بين المفهوم والمصطلح عام له صلة بالمنطق واللغة والفلسفة ومن خلال هذه الأبعاد سنحاول استجلاء الفرق.

لاهوتياً فرضته حيثيات غربية لا تنطبق على السياق العربي بل تتنافى مع رؤية المسلم للنص القرآني باعتباره وحياً ورسالة من الله، وأخص من هذه المناهج نظريات التأويل والمنهج الظاهراتي والتي تستند – على اختلافها - إلى مقولة موت المؤلف وتعتبر المعنى فضفاضاً ومفتوحاً وتعتبر المتلقي هو مصدر المعنى، فتَصورُ النص القرآني على أنه رسالة من الله لا يمكن أن يتجاهل المرسل، كما لا يمكن اعتباره غير منضبط المعنى وإلا لم يعد لمفهوم الرسالة معنى، والإيمان بكونه وحياً من الله يجعله نصاً متميزاً عن غيره فله خصوصيته اللغوية وبنيته المحكمة التي ينبغي اكتشافها، وهذا الاحتراز لا يعني بالمقابل حرفية الدلالة القرآنية وسهولتها وانتفاء احتمالية المعنى وتعدد الأوجه، ففرق بين الإيمان بوجود معنى واحد في النص القرآني إما أن يكون واضحاً في أحاديته لكل متلق أو أن يكون ملتبساً تدل عليه ضوابط معينة وعلى المؤمن مقاربته باجتهاده قدر المستطاع، وبين القول إن المعنى غير منضبط أصلاً أو لا قيمة لقصد المؤلف أو الناص أو أن المعنى يقع أساساً خارج النص، إذ هذه الاعتبارات تتنافى مع طبيعة تصور المؤمن لعلاقته مع النص. (حول نظريات التأويل وإشكالياتها، انظر: الرباعي، عبد القادر، "**التأويل: دراسة في آفاق المصطلح**"، مجلة عالم الفكر – الكويت، مجلد:٣١ عدد:٢ (أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٢م)، ص:١٥١-١٨٢، تاج الدين، مصطفى، "**النص القرآني ومشكل التأويل**"، مجلة إسلامية المعرفة، عدد:١٤ (خريف ١٩٩٨م)، ص:٧-٢٩، شبستري، محمد مجتهد، "**هرمنيوطيقا الكتاب والسنة**"، مجلة قضايا إسلامية معاصرة – بيروت، عدد:٦ (١٩٩٩م)، ص:٩١-١٣٢ ، الرويلي، ميجان وسعد البازغي، .**دليل الناقد الأدبي**. م.س، ص:٤٧-٥٣، ١٥٢-١٥٧، وحول أسس تعدد المعنى انظر: يوسف، ألفة .**تعدد المعنى في القرآن**، تونس: دار سحر وكلية الآداب بمنوبة، ط:١/ ٢٠٠٣م).

المفهوم والمصطلح والفرق بينهما

إذا كانت المفردة، وهي اللفظ المتداول في اللغة أو النص، معنى واضحاً ـ أياً كان تصنيف أجزاء الكلام ـ فإن تحديد تعريف المفهوم وإبراز دلالته ومعناه يعتبر من المسائل العويصة حتى في الفلسفة الحديثة ـ باعتباره في الأصل من المعجم الفلسفي ـ وقد شهدت المعاجم الفلسفية اختلافاً كبيراً وشططاً واضحاً في عملية التعريف سواء في المعاجم الأجنبية أو العربية المترجمة للكلمة الأجنبية (Concept)[1]، وإن الصعوبة لتزداد عندما تقارن دلالة المفهوم المتداول في السياق المنطقي والفلسفي مع دلالة المصطلح متعدد الاستعمال في مختلف السياقات العلمية، لاسيما وأن الاستخدام المعاصر متداخل بينهما، وللإحاطة بدلالة المفهوم نعرض له في سياقه المنطقي والفلسفي ثم نتطرق لدلالة المصطلح.

المفهوم: يحيل المفهوم[2] إلى كلمة أخرى متداولة في كتب المنطق والفلسفة المتقدمة وهي: التصور والذي يعني (حصول صورة مفرد ما في

---

(١) انظر: الزاوي، الحسين، "**ما المفهوم : دلالة المفهوم وعوامل تشكله وإبداعه**"، مجلة الفكر العربي المعاصر ـ بيروت، عدد:١٠٢-١٠٣ (١٩٩٨م) ، ص:٣١-٣٢.

(٢) يلاحظ اختلاف المفهوم هنا عن المفهوم الذي يقابل المنطوق كما هو مستعمل في أصول الفقه كمفهوم الموافقة والمخالفة.

العقل كالجوهر والعرض ونحوه)[1]، بل يرى البعض أن المفردة العربية **التصور**، بما هو المعنى المجرد، هي الأولى في ترجمة الكلمة الأجنبية (Concept)، باعتباره أكثر ضبطاً لأنه ينطوي على المفهوم والماصدق معاً (**مجموع أفراد الجنس+** المتصور الذهني) فيكون التصور= مفهوم + ماصدق[2]، فالمفهوم هو المعنى الذهني الذي يثيره اللفظ في الأذهان واللفظ دلالة كلامية عليه، أما الماصدق فهو الفرد أو الأفراد التي ينطبق عليها اللفظ إذ يتحقق فيها مفهومه الذهني[3]، وبتعبير آخر فإن المعاني هي الصور الذهنية من حيث وضعت بإزائها الألفاظ، والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى معنى، **ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوماً**، ومن حيث أنها مقولة في جواب ما هو؟ تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج

---

(١) انظر: الآمدي، سيف الدين، **المعين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين**، منشور ضمن كتاب: المصطلح الفلسفي عند العرب لـ عبد الأمير الأعسم، الجزائر-تونس:الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩١م، ص:٣٥٤.

(٢) انظر: السعيد، جلال الدين .**معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**. تونس:دار الجنوب، ١٩٩٨م، ص:١٠٧، ويقترح موسى وهبة صيغة (أفهوم) للدلالة على معنى المفردة الأجنبية والذي يكتسب دلالته الدقيقة من طريقة استعماله في السياق الخاص، فهو لفظ عادي صار عمالاً وفقد بالتالي إمكان استبداله بمرادف، انظر:**الموسوعة الفلسفية العربية**، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦م، ج:١ ص:٧٦٩.

(٣) انظر: حبنكة، عبد الرحمن حسن، **ضوابط المعرفة وأصول الاستنباط والاستدلال والمناظرة**، دمشق:دار القلم، ط:٣/١٩٨٨م، ص:٤٥.

تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها من الأعيان تسمى هوية[1]، فالمفهوم بمعناه المنطقي هو **مجموعة الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديداً يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى**[2].

وقد حُدِّدت المفهومات كأبنية في عمليات الإدراك الإنساني (أنساق)، تساعد على تصنيف الموضوعات بتجريد عشوائي أو نظامي، تأسيساً على ذلك، جاء في تعريف (المفهومات) بأنها:

- أبنية عقلية، أو تجريدات يمكن تسخيرها في تصنيف الأشياء، وأفراد العالمين الخارجي والداخلي.
- **أو** موضوعات كل حقول المعرفة، والنشاط الإنساني، نحو الأشياء وخاصياتها وكيفياتها وظاهراتها... الخ، الممثلة عادة بواسطة مفاهيم.
- أو أن المفهوم بناء عقلي لتصنيف الموضوعات الفردية في العالم الخارجي والداخلي، بتجريد عشوائي قليلاً كان أو كثيراً.
- أو أن المفهوم وحدة فكرية منعكسة عن تجميع الموضوعات الفردية عامة والتي يرتبط بعضها ببعض بسمات مشتركة.

---

(1) المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق:رضوان الداية، دمشق:دار الفكر، ط:١/١٤١٠هـ، ص:٦٦٤-٦٦٥ .

(2) انظر: إسماعيل، صلاح، **توضيح المفاهيم ضرورة معرفية**، بحث منشور ضمن: "بناء المفاهيم :دراسة معرفية ونماذج تطبيقية"، إشراف:علي جمعة وسيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، القاهرة:المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٨م، ج:١ ص:٣١.

- أو أنه مجموعة متماسكة من التقديرات المتعلقة بموضوع ما تأسست نواته من تلك التقديرات التي تعكس الخصائص اللازمة لذلك الموضوع.
- أو أن المفهوم أي وحدة فكرية.

انطلاقاً من البيانات السابقة للمفهوم في تعريفاته المتنوعة، يمكن ملاحظة أن **المفهوم يستخدم في بناء المعرفة وإدراك العالم المحيط، وأن المناهج الفكرية المتعددة قد قدمت تعريفات مختلفة للمفهوم**[1] .

من هذه المعطيات ندرك مدى **الاضطراب وصعوبة تحديد تعريف جامع ومانع للمفهوم**، بل إن إيجاد تعريف جامع له غير متناول في الزمن الراهن على الأقل -كما يرى البعض – لاسيما مع قلة المشتغلين في تحديد دلالات الألفاظ والمفهومات[2]، فهي كلمة مشكلة[3]، لكن يمكننا أن نقول استنتاجاً مما نقلناه أن المفهوم وبصيغة مبسطة هو: **مفردة تحيل على مجموعة من المتصورات داخل سياق خاص.**

---

(١) تلخيصاً عن : سماعنه،جواد حسني "**نظرية المفاهيم (في علم المصطلحات)**" ترجمة عن كتاب ج. ساجر بعنوان: A Practical Course In Terminology Processing, John Benjamins Publishing Company (١٩٩٠). والمادة المترجمة، جزء من الفصل الثاني، وهي بعنوان (A theory of concepts) (ص٢١-٣٩) ، **مجلة اللسان العربي** ، تصدر عن مكتب تنسيق التعريب (الرباط) ، عدد:٤٧ (١٩٩٩م) ، ص: ١٨٧-٢٠٠.

(٢) انظر: الزاوي، الحسين "**ما المفهوم:دلالة المفهوم وعوامل تشكله وإبداعه**"، م.س، ص:٣٣.

(٣) انظر: ابن طالب، عثمان .**علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة:الإشكالات النظرية والمنهجية**، ضمن:تأسيس القضية الاصطلاحية، قرطاج:بيت الحكمة، ١٩٨٩م، ص: ٩٠.

ويرتبط تحديد المفهوم وإنتاجه بالثقافة والمعرفة عموماً سواء تعلق الأمر بالعلوم الثقافية أو العلوم الطبيعية، فهو يتكون في المحيط بشكل لاحق وتابع، وهو وثيق الصلة بالرمز واللغة والحقل الدلالي ومختلف الأبعاد التي تسهم في تشكله، ويتخذ المفهوم صفته النظرية والإجرائية من ارتباطه أو انبثاقه من مجال معرفي معين يختص به[1].

ولقد أخذ المفهوم يزداد تعقيداً وتشويشاً بعد أن خرج من سياقه الفلسفي المعقد أصلاً ليتم تداوله في سياقات مختلفة لاسيما مع تداخل العلوم اللغوية والفلسفية وغيرها من العلوم المتصلة بهما، فأصبح المفهوم يستعمل مرادفاً للمصطلح وهذا ما يحيلنا على دلالة المصطلح لندرك علاقته بالمفهوم.

المصطلح : جذر صلح الذي ترجع إليه مفردة مصطلح يدل على المسالمة والاتفاق[2]، وهذا المعنى يدل على خاصية أساسية من خصائص المصطلح وهي

---

(١) انظر:الزاوي، الحسين، "**ما المفهوم:دلالة المفهوم وعوامل تشكله وإبداعه**"، م.س:٣٥ وما بعدها.

(٢) لم ترد كلمة "مصطلح" في أي قاموس قديم من القواميس المشهورة ابتداء من "عين" الخليل إلى"تاج" الزبيدي. وهذا ما جعل المستشرق الهولندي "دوزي" يجعلها من مستدركاته على القواميس العربية القديمة، بل حتى أشهر القواميس الحديثة والمعاصرة، وربما كان أول قاموس عربي معاصر أدخلها إلى مدونته هو كتاب "المعجم الوجيز"، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٠م، ثم تبعه "المعجم العربي الأساسي" الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٨٨م، والسبب في عدم ذكرها في القواميس أن المعروف في ضوابط القواميس العربية وقواعدها المقررة- ولاسيما القديمة

الاتفاق على دلالة خاصة لمفردته بعد اختلاف في الدلالة كان يتنازع المفـردة قبل تمحص دلالتها العلمية بشكل واضح على مضمونها، فيضاف إلى خاصـية الاتفاق صفة الوضوح والعلمية والتجريد[1]، هذه الخاصيات عندما تجتمـع في مفردة للدلالة على معنى خاص يتبادر من سماعها في سـياقها التـداولي تغـدو مصطلحاً، لكن التكرار والاستمرار في التاريخ هو الذي يكـسب المفـردة اصطلاحيتها وثبات دلالتها الجديدة الخاصة.

وقد اهتم القدامى بالمصطلح والذي كان يعبر عنه بالحد أو التعريف، فكثرت الكتب المتخصصة في تحديد دلالات المصطلحات سواء في مختلف العلوم أو في سياقات علمية خاصة[2]، إلا أن هذه المدونات تتسم بالتعميم وينقصها تحديد

منها- عدم إيراد صيغ المشتقات المطردة، وكل الكلمات التي يمكن توليدها بآلية قياسية وبقواعد صرفية معروفة، إلا في الحالات الشاذة أو عند الضرورة والاقتضاء، أما لفظ اصطلاح فلعل أول قاموس عربي أورده هو "تاج العروس" (ق ١٣هـ)، وإنما فعل الزَّبيدي ذلك لأن من عادته أن ينقل كلام شيخه ابن الطيّب الفاسي في حاشيته على القاموس بحذافيره، فلما قال ابن الطيب (ق١٢هـ) في مادة "صلح": "واصطلاحاً: اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص.. الخ"، نقل ذلك الزَّبيدي من باب الإحاطة والاحتياط لا غير، أو على اعتبار أن لفظ "اصطلاح" أصبح بغلبة الاستعمال اسماً من باب التسمية بالمصدر. (نقلاً عن: الودغيري، عبد العلي"**كلمة مصطلح بين الصواب والخطأ**"، مجلة اللسان العربي- الرباط، عدد:٤٨ (١٩٩٩م)، ص:٩-٢٠.

(١)انظر: غرم الله زياد، صالح " **المصطلح الأدبي:بين غناه بالمعرفة وغناه في التاريخ**"، م.س، ص:٩٩-١٠٢ .

(٢)بالنسبة للعمق التاريخي للفظ "مصطلح" فقد كان معروفاً متداولاً جداً بين القدماء – رغم عدم وروده في القواميس - فقد استخدموه في مجالات وعلوم مختلفة، منها التصوف

السياق التاريخي[1]، وفي العصر الحاضر أصبح المصطلح موضوع علم مستقل يدعى **علم المصطلح** الذي يدرس علمياً المفهومات والمصطلحات المستعملة في لغة الاختصاص[2]، **والمصطلحية** (Terminology) كعلم يعنى بصياغة المصطلح وتحديده أو صناعته، ففي كل لغة توجد مساحة للغة الأغراض العامة وأخرى للغة الأغراض الخاصة ويوجد قطاع واحد من قطاعات لغة الأغراض الخاصة يتضمن مفردات خاصة، هذا القطاع هو النطاق الرئيسي للمصطلحية [3].

والتاريخ، وصناعة الإنشاء، وعلوم الحديث، والقراءات، وصناعة الشعر واللغة، والمناظرة (الجدل) وهلم جرا، وقد كان رائجاً خلال القرن الثامن الهجري على يد بعض الصوفية والمؤرخين وكتاب دواوين الإنشاء الذين سموا به بعض مؤلفاتهم وذكروه في ثنايا كتبهم، أما لفظ "اصطلاح" فربما كان أقدم ظهوراً ورواجاً في تاريخ اللغة العربية من لفظ "مصطلح"، فقد وجد لفظ "اصطلاح" مستعملاً منذ القرن الثالث الهجري في كتاب المقتضب لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٠هـ)، ووجد في القرن الرابع الهجري في كتابات كل من ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وابن فارس، والخوارزمي (ت ٣٩٥هـ). (نقلاً عن: الودغيري، عبد العلي "**كلمة مصطلح بين الصواب والخطأ**"، م.س) .

(١) انظر:غرم الله زياد، صالح "**المصطلح الأدبي: بين غناه بالمعرفة وغناه في التاريخ**"، م.س، ص:١٠٦-١٠٧ .

(٢) انظر: مفتاح، محمد .**المفاهيم معالم**، بيروت –الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م، ص:٥، وينقل هذا المعنى عن معاجم أجنبية، وعرَّفه علي القاسمي بأنه: العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، ولم يفرق بين علم المصطلح والمصطلحية (انظر:القاسمي، علي، **مقدمة في علم المصطلح**، القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، ط:٢/١٩٨٧م، ص:١٧، ٢١٧).

(٣) انظر: بيشت، هربرت، وجنيفر دراسكاو، **مقدمة في علم المصطلحية**. ترجمة:محمد حلمي هليل، الكويت:مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، ٢٠٠٠م ، ص:٤٢.

فالمصطلح = مضمون (قيمة دلالية) + تعبير (الصيغة اللغوية الإيصالية)، أو رمز اتفاقي لتصور ما يتألف من أصوات منطوقة أو الشكل الذي تمثل به كتابياً (بالحروف)، وقد يكون المصطلح كلمة أو عبارة[1]، فالمصطلح علامة معرِّفة داخل نظام من الدوال المحددة للمفاهيم، وبالتالي فهو مدخل للمفهوم وعلامة على مرجعه[2]، فإذا كان المفهوم: تمثيلاً فكرياً لشيء ما (محسوس أو مجرد) أو لصنف من أشياء لها سمات مشتركة ويعبر عنه بمصطلح أو برمز، فإن المصطلح: كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما[3]، أو مفهوماً خاصاً يمثل تصوراً وظيفياً للخصائص المعرِّفة للمصطلح[4].

هذه الضوابط للمصطلح تزيد الغموض في علاقته بالمفهوم، فيبدو المفهوم من خلال تعريفات المصطلح في مختلف المصادر ـ لاسيما الغربي منها ـ أخص من المصطلح ويستعمل بمعنى التصور، فالمفهومات هي شرط التواصل اللغوي وجوهر اللغة وبها يفرق الإنسان بين شيء وشيء، والمفهومات بحاجة

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٣٥-١٣٩.

(٢) انظر: ابن طالب، عثمان.**علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة : الاشكالات النظرية والمنهجية**. م.س، ص:٨٢.

(٣) انظر: القاسمي ،علي .**مقدمة في علم المصطلح**. م.س ، ص:٢١٣ ، ٢١٥.

(٤) انظر: ابن طالب، عثمان.**علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة:الاشكالات النظرية والمنهجية**، م.س ، ص:٩١.

إلى نسق يضم بعضها إلى بعض، وتمثل المصطلحات أطراً تصورية وتعبيرية للمفاهيم[1]، هذا الاستخدام للمفهوم بين المصطلحيين لا يلغي دلالة المفهوم التجريدية فهناك مفهوم ومفهوم تجريدي وهناك مفهوم ينتمي إلى اللغة العادية وآخر إلى اللغة التقنية الاصطلاحية[2]، بل نشأت نظرية للمفاهيم ينظر إليها في علم المصطلحات كوسيلة تمدّنا بتفسير دقيق لحوافز الإدراك في تشكيل المصطلحات، وتزودنا بأساس بناء الألفاظ، **فالمصطلحات رموز للمفاهيم** بحسب إدراكنا لها، الأمر الذي يعني أن **المفهومات قد وجدت وتشكلت قبل المصطلحات**، وباعتبار خصوصية المفهوم بالنسبة للمصطلح فإن علم المصطلحات يربط المصطلحات بالمفهومات وليس العكس، وهو لذلك، لا يهتم بأنظمة مفهومية مطلقة ولكن فقط بأنظمة موضوعة لغرض خاص تسهيلا للتواصل[3]، لكن هل هذا التوضيح للعلاقة بين المفهوم والمصطلح كاف لإزالة الالتباس بينهما في الاستخدام ؟، وما هو الفرق بينهما ؟ .

الفرق بين المفهوم والمصطلح :

ما أوضحناه من تعريف المفهوم والمصطلح يعيدنا إلى الإشكالية التي انطلقنا

---

(١) انظر: بيشت ،هربرت، **مقدمة في علم المصطلحية**، م.س، ص:٦٥-٦٦ ، مفتاح، محمد.**المفاهيم معالم**، م.س، ص:٦، غرم الله زياد ، صالح " **المصطلح الأدبي: بين غناه بالمعرفة وغناه في التاريخ**"، م.س، ص:١٠٧ .

(٢) انظر:محمد مفتاح، .**المفاهيم معالم**. م.س، ص:٨ .

(٣) سماعنه، جواد حسني " **نظرية المفاهيم**" ، م.س .

منها أعني تحديد الفرق بين المفهوم والمصطلح، إلا أن دراسة مفردة المفهوم واختصاصها الأصلي في السياق الفلسفي ومفردة المصطلح واختصاصها في السياق اللغوي زاد المفردتين غموضاً في دلالتهما، وبقدر هذا الغموض نجد الاستعمال الشائع يرادف بينهما ببساطة ووضوح، حتى إن المعاجم والموسوعات التي اعتنت ببيان دلالة المفهوم والمصطلح، دون أن تفرق بينهما، اتخذت من المفهوم والمصطلح عنواناً رديفاً لمدوناتها[1] مما يشير إلى **وضوح في الاستعمال يناقض الغموض في التعريف**، وإنها لمن المفارقات أن المفردات التي هي عنوان المعرِّفات غير منضبطة التعريف، وللخروج من هذا الاضطراب سنحاول ملاحظة ما يفيده استخدامهما .

ليس موضع إشكال كون المفهوم ينتمي إلى القاموس الفلسفي بالدرجة الأولى، ومن ثم تطور وغدا متداولاً في الحقل اللغوي مرادفاً المصطلح في

---

(١) مثلاً: **الموسوعة الفلسفية العربية** خصصت المجلد الأول لما سجلته على غلافها (الاصطلاحات والمفاهيم)، بل إن بعض المشاريع الفكرية التي خصصت لدراسة المفاهيم خلطت بين المفهوم والمصطلح ولم تفرق بشكل واضح ودقيق بينهما مثل مشروع (**بناء المفاهيم**) الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي (م.س)، فالجزء الأول المخصص للتنظير العام في الموضوع لم يرد فيه غير إشارات عابرة للفرق بينهما في بعض الدراسات (تقديم طه جابر العلواني للكتاب، ص:٧، صلاح إسماعيل، ص:٣١) ، بل إن الدراسة التي خصصها علي جمعة مدخلاً للكتاب تحت عنوان:**مدخل لقضية المفاهيم والمصطلحات**، كانت نموذجاً للخلط والمرادفة بين المفهوم والمصطلح، انظر:ص٢١، وحتى بعض الدراسات اللغوية المختصة في دراسة المصطلح رادفت بينهما أحياناً في وقت تشرح فيه العلاقة بينهما (انظر مثلاً: ابن طالب، عثمان.**علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة: الاشكالات النظرية والمنهجية**، م.س ، ص:٧٥) .

مختلف المجالات، ولئن كان تحديد فرق بين المفهوم والمصطلح والعلاقة بينهما أمراً يقر به جميع اللسانيين، فإن الاضطراب في تحديد هذا الفرق أمر لا ينفونه، وخارج الإطار التنظيري للمفهوم والمصطلح يتم تداولهما بمعنى واحد تقريباً.

ويمكننا تحديد تفريق جزئي لاحظناه من خلال الاستخدام للمفردتين، فعندما يذكر المفهوم شفاهاً أو كتابة يقترن بتعريف ما يحيل عليه اللفظ بمفردات غير منضبطة أو ما يعرف بالتعريف الإجرائي[1]، بينما عندما يذكر المصطلح فغالباً ما يقترن بتعريف منضبط للمعنى المقصود الإحالة عليه وذلك من خلال مفردات متماسكة ومختصرة[2]، وهو ما يعرف بالتعريف الحدي.

هذا الفرق الذي لاحظناه ينتج عنه أن **المفردة التي تسمى مفهوماً يمكن أن تشاركها مفردة أخرى في التعبير عن نفس المعنى، بينما المفردة التي تسمى مصطلحاً فإن المفردة تتفرد بالدلالة على المعنى وتنبذ الترادف** وهذا التفرد من خاصية المصطلح.

---

(١) نقصد بالتعريف الإجرائي التعريف غير المنضبط لغوياً والمقصود منه توضيح المعنى أكثر من ضبط الألفاظ اللغوية المقيدة للمعنى، فهو يختلف عن التعريف الإجرائي الواقعي والظاهري للمفهوم الذي رفضه سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل في بحثه: **بناء المفاهيم الإسلامية ضرورة منهاجية**، ضمن بناء المفاهيم (م.س) ج:١ ص:٦٧.

(٢) وظيفة التركيب المؤسس للوحدة المصطلحية هي بالأساس **الحصر الدلالي** (انظر:ابن طالب، عثمان.**علم المصطلح بين المعجمية وعلم الدلالة : الاشكالات النظرية والمنهجية**، م.س، ص:٨٤).

فالمفهوم هنا يتجاوز في الاستعمال المعنى المنطقي المرتبط بالتصور ليدل على اللفظ الدال على المعنى من غير انضباط لغوي يؤطر ذلك المعنى، فعندما نستعمل مفردات مثل: الثقافة، الحضارة، الديمقراطية..، فإنها مفهومات تدل على معان يصعب ضبطها بألفاظ معينة، لذلك يجد الباحث لكل منها مئات التعريفات المختلفة رغم الاتفاق بينها على قواسم مشتركة ترتبط باللفظ، وقد يأتي يوم وتنحصر دلالة هذه المفردات/المفهومات وتنضبط بألفاظ معينة فتغدو مصطلحاً، بينما المصطلح فإنه ابتداء لا يحتمل تشتتاً وانفتاحاً في تعريفه فهو حدِّي وكل لفظ في تعريفه له دلالته، وقد تتعدد صيغ التعريفات للمصطلح لكنها تشترك جميعاً في حصرية دلالتها، فإن أضافت بعض التعريفات ضوابط جديدة في التعريف فإنه يغدو مصطلحاً جديداً يختص بمعرِّفه أو بالسياق المستخدم فيه، وقد تكون المفردة الواحدة أكثر من مصطلح بحسب تعدد السياقات التي تستخدمها.

فحدية التعريف هي التي تميز المصطلح عن المفهوم، فالمفهوم يعرَّف إجرائياً ولا يمكن تعريفه حدياً فإن عرِّف حدياً غدا مصطلحاً، بينما المصطلح يعرَّف حدياً لكن يمكن تعريفه بشكل إجرائي على سبيل التوضيح والتقريب مع احتفاظه بالضوابط التي تميزه كمصطلح.

وكما يمكن للمفهوم أن يتحول إلى مصطلح وذلك بالتطور التاريخي للاستخدام أو الضبط المؤسسي لدلالته، فإنه يمكن للمصطلح أن يتحول إلى مفهوم وذلك عبر توسع دلالته عندما يهمل كمصطلح ويتسع استخدامه لمعنى أعم، كما يمكن للمفردة أن تكون مصطلحاً ومفهوماً في آن واحد

لكن في سياقات مختلفة، إما بتحولها ضمن نسق خاص من الاستعمال دون أن يعم، أو باصطلاح مؤسسي على استخدام مفهوم ما كمصطلح.

هذا ويعتبر المفهوم مثار جدل بشكل دائم إذ لكل معني به أن يتنازع معناه المشترك ليسقطه على المجال الذي يراه، أما المصطلح فليس مثار نزاع بين المعنيين به إذ هو منضبط بين مستخدميه فلا سلطة لأحد على دلالته[1].

هذا الذي أوضحنا لاستخدام تعبيرات المفهوم والمصطلح إنما يتعلق بالاستعمال والتداول ولا يصادر على معنى المفهوم كما هو مستعمل في سياقه المنطقي والفلسفي الخاص.

مصادر المفهومات والمصطلحات :

يمكن تحديد مصادر تكوُّن المفهومات والمصطلحات في ثلاثة:

الأول تاريخي وهو الغالب إذ يلعب التاريخ الخاص بسياق معين في انتخاب بعض مفردات لغته لتكون علامات ومنارات مفتاحية يفهم من خلالها ذلك السياق، وفي هذا النوع من المصطلحات يكون **التداول والاستخدام هو المحدد الرئيسي لدلالة المصطلح** ويصبح التنظير اللغوي والفلسفي للمصطلح استكشافاً وليس تكويناً أو تدخلاً في تحديده.

المصدر الثاني للمفهومات والمصطلحات هو المصدر **الشخصي** أعني الذي

---

(1) لعل من أهم الأمثلة المعاصرة على تنازع المفاهيم (مفهوم الإرهاب) فيشترك جميع المتنازعين حوله على كونه مذموماً ومرتبطاً بالعنف، فيلجأ البعض إلى تعميم هذا المفهوم على جميع صور العنف التي قد لا تكون مذمومة، لذلك كانت الدعوة إلى تحديد دلالته، أي تحويل مفردة الإرهاب من مفهوم إلى مصطلح.

يقترحه ويتداوله شخص من المختصين في مجال معين ويعين مفردة ما للدلالة على معنى معين يحدده، فيكون هو مصدر تعريف المصطلح الذي ابتدعه، ويكون ما حدده من مفاهيم ومصطلحات هو المدخل للتعرف على فكره وفهم نصوصه، وقد يكون هذا المصطلح نحتاً أو اشتقاقاً من مصطلح سابق أو صناعة جديدة وربما يُتداول من بعده فيغدو مصطلحاً تاريخياً.

المصدر الثالث لتكون المصطلحات والمفهومات هو المصدر **النصي** وذلك عندما يكون للنص خصوصية لغوية ويكون نصاً متميزاً عن غيره من النصوص وتوجد فيه بعض المفردات المتداولة والمتكررة في أماكن مختلفة فتشكل مفاتيح لفهم النص واكتشاف معانية، ولئن كان هذا المعنى ينطبق على النصوص التي هي من صناعة البشر فإن النص القرآني بما هو نص إلهي وله لغة خاصة تسمو على لغة العرب التي نزل بلسانها هو أثرى النصوص التي تحتوي على مفهومات ومصطلحات خاصة تمثل مفاتيح لفهمه وتدبره.

المفردة القرآنية بين المفهوم والمصطلح:

يحفل النص القرآني بالكلمات المفتاحية التي ينبغي اكتشافها، لكن إلى أي حد يمكن التفريق في المفردات القرآنية بين ما هو مفهوم وما هو مصطلح باعتبار الفرق الذي لاحظناه؟

مما هو متفق عليه بين جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم كون **بعض المفردات القرآنية هي من قبيل المصطلح الذي لا يختلف في معناه وإن اختلف التعبير عن معناه لكنه يبقى حصرياً**، فالمفردات القرآنية مثل :

الصلاة، الزكاة، الحج ..هي مصطلحات لا يختلف في تعريفها، ويعبر عنها في التفاسير **بالألفاظ الشرعية المنقولة** عن معناها اللغوي، كما هناك مفردات قرآنية أخرى غير منضبطة في تعريفها مع اتفاق على مجمل المعاني التي تحيل عليها كالتقوى والعمل الصالح ... ويمكن اعتبارها من قبيل المفهومات بالمعنى الذي أوضحناه، وهناك مفردات قرآنية أثارت جدلاً في التاريخ وحفلت المدونات في دراستها ومقاربتها وبني على الاختلاف فيها جدل كبير فهي **مفردات متنازع عليها بين كونها مفهوماً أو مصطلحاً** بالمعنى الذي أوضحناه، ولعل من أبرز الأمثلة لهذا النوع من المفردات ألفاظ: الإيمان، النبي، الرسول، الكتاب ..، وهذا النوع من المفردات كان ولا يزال محل اختلاف في تحديد دلالتها، وما دام تحديدها موضع اجتهاد فإنها تبقى من قبيل المفهوم ولا تتحول إلى مصطلح إلا باعتبار دارسيها، ودراسة هذا النوع من المفردات هو الذي يمكن أن يضيف أفقاً جديداً في تدبر القرآن.

وعموماً فإن **المفهوم والمصطلح كلاهما مفتاحي في النص**، وكلاهما يتجاوزان الاستخدام اللغوي للفظ **ويدلان على معنى قرآني خاص**، فاللفظ القرآني قد يتفق على تعريفه ولا ترادفه مفردة أخرى فيكون مصطلحاً، أو لا ينضبط تعريفه وتشاركه مفردات أخرى في معناه فيكون مفهوماً، أو يتردد بينهما .

وعليه يمكن أن نصنف استعمالات المفردة القرآنية إلى أربعة أصناف:

- المفردة كلفظ لغوي: وذلك في الاستخدام اللغوي للمفردة في السياق القرآني سواء في وضعها الأصلي أو المجازي، كالصلاة بمعنى الدعاء .

- المفردة كمصطلح قرآني: وهي منضبطة الدلالة وحدية التعريف ولا تدل عليها مفردة غيرها، كالصلاة بمعناها الشرعي.
- المفردة كمفهوم قرآني: وهي مفتوحة الدلالة وغير منضبطة التعريف مع إحالتها على معنى مشترك قد تدل عليه مفردات أخرى، كلفظ التقوى .
- المفردة القرآنية المترددة في نظر متدبري القرآن بين كونها مفهوماً غير منضبط التعريف أو مصطلحاً حدي التعريف، كلفظ الإيمان.

ضمن هذه الاحتمالات تتوزع المفردات القرآنية، والوعي بالفرق بينها أساسي في منهجية دراستها التي يمكن أن تسهم في تصنيفها إلى ما هو استخدام لغوي وما هو مفهوم وما هو مصطلح، وبالتالي اكتشاف معاني النص القرآني من خلال كلماته المفتاحية التي تجلي بنيته المتكاملة وتناسقه المعجز .

بنية القرآن مدخلاً لإعادة القراءة

أولاً- البنية وإعادة القراءة:

لماذا إعادة قراءة القرآن؟ ولماذا نقترح بنية القرآن مدخلاً لهذه الاستعادة؟، سؤالان مشروعان يحفزهما ما للمصطلحين من براقة الحداثة والمعاصرة، ولما يضمرانه في الاستعمال الغالب من نزعة فلسفية ونقدية في شتى الاستعمالات، فالقراءة ستحيل إلى ما عرف بالقراءة المعاصرة للقرآن، والبنية ستحيل إلى البنيوية في سياقاتها الفلسفية واللغوية والاجتماعية، وبالتالي فإن العنوان سيبدو من الوهلة الأولى آتياً في هذا السياق.

إن طرح الأسئلة حول العنوان إن جاء ليحترز مما قد يتبادر منه فإنه لا ينفي الأثر المعرفي الذي آلت إليه مناهج البحث في دراسة القرآن الكريم بفعل تطور النظريات الفلسفية واللغوية وغيرها، وكذلك أثر التوظيف السلبي لها في دراسة القرآن الكريم، إذ أدى هذا النمط من القراءات المعاصرة إلى ميلاد وعي أعمق بمركزية القرآن في الفكر الإسلامي، ومحوريته في مشاريع النهوض والتجديد.

أما **لماذا إعادة القراءة؟** سيتبادر إلى الذهن أيضاً المنحى التوظيفي، والاتكاء على التأويل المفتوح تحت شعار "حمال أوجه" وبالتالي تمرير ما يريد القارئ من القرآن أن يقوله، وعليه فمظنة البراءة لا تبدو غالبة في مشاريع إعادة

قراءة القرآن، والقراءة المعاصرة، واستخدام المناهج الحديثة في دراسته.

إن تجربة المسلمين الحديثة في دراسة القرآن تبرر هذه المخاوف والتوجسات، فالعهد بدراسة القرآن هو المنحى التفسيري المعهود الذي لم يتقدم بمناهج التفسير إلا جزئياً، فالجهد انصب على إعادة الصياغة والترتيب الشكلي (تحريراً)، مع إضافات في تفسير بعض الآيات وتوجيه النظر فيها ترجيحاً أو استنباطاً ونقداً لتفاسير سابقة (تنويراً)، مع طغيان نزعة المفسر المذهبية أو الفكرية، فيما بقيت المقاربات الأخرى في دراسة القرآن تعتمد على هذا التفسير التجزيئي بدرجة كبرى كالتفسير الموضوعي الذي بقي بطيئاً في التطور ولم يتبلور منهجياً بشكل يمكن اعتباره إضافة نوعية ومستقلة، لكنه شكَّل نواة لتطور الدرس القرآني، وبالمقابل ظهرت نزعة ثورية انتفضت على مناهج المفسرين واستغلت ثغرات فيها وفي علوم القرآن، مدعية قراءة معاصرة للقرآن تتوسل مناهج مختلفة وأحياناً تجمع متناقضات منها، ما أدى بها إلى الخروج بخليط من الأفكار غير المنسجمة والمتناقضة أحياناً ادعيت دراسة للقرآن الكريم، مما أدى إلى زيادة الوثاقة بالمنهج التقليدي لدراسة القرآن ومرجعيته، والشك والحذر من أي مقاربة جديدة أو غير مألوفة في درس القرآن الكريم. ومما زاد هذا الحذر ما آلت إليه كثير من المقاربات تبعاً، إذ اتخذت موقفاً من السنة النبوية ومرجعيتها، فضلاً عن الموقف من التراث الإسلامي عموماً ما جعل الدراسة القرآنية غير التقليدية تهمة بذاتها.

في هذا الجو المشحون بالهواجس والشكوك التي تغيب فيها تقاليد المعرفة وأصول البحث والنقد سيبقى الدرس القرآني بين نزعتين الأولى تأسر تطوره

في أقفاص ما انتهى إليه المفسرون، وتبقي نوافذ له مما يؤكد ذلك من تطورات العصر، والنزعة الثانية تجعل الدرس القرآني كأي مقاربة لأي نص، فيخضع لتطور الدرس اللغوي والأدبي والتاريخي، ويبقى ميدان تجربة للقارئ يقرأ فيه ما يشاء.

لكن البحث العلمي الهادئ والرصين كان ولا يزال بعيداً عن هذه النزعات، وهو الكفيل بأن يحقق الإبداع في الدراسة والرصانة في المنهج والإخلاص في الهدف، فأن يكون ما وصل إليه المفسرون هو نهاية المطاف في فهم القرآن لا يمكن أن يكون منسجماً مع حقيقة أنه كتاب لا يخلق على كثرة الرد، وكونه كتاباً إلهياً لا يحيط بكلماته زمان أو مكان، "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"(الكهف:١٠٩)، وإذا كانت دراسة القرآن لا تتجاوز ما قدمه المفسرون فهذا يعني أننا لم نقدم جديداً لفهم القرآن، ومن المعلوم أن الجديد ليس بالضرورة نقداً أو نقضاً للقديم، بل لا يمكن أن يكون هناك جديد من غير بناء على ما هو قديم ترميماً أو إعادة بناء، وبالتالي فتصور الجديد نسخة من القديم أو نقيضاً له بالضرورة تحكم غير منطقي، وتعقيم لبذور الإبداع، كما أن تصور الجديد في فهم القرآن أنه قول فيه من غير منهج منسجم هو الآخر تقوُّل على النص لا يستحق النظر.

فإعادة دراسة القرآن تستمد مشروعيتها من طبيعة القرآن نفسه فهو نص أنزل ليقرأه كل من يدخل في خطابه، ولا يحده زمان أو مكان، كما أن ما كتبه المفسرون هو تجربة في فهم القرآن، إن كشفت عن جوانب من معانية

وأحكامه فإن جوانب أخرى ما تزال مكنونة فيه، وإن لم تتقدم مناهج المفسرين على مر العصور في كشف جوانب جديدة، فإن سؤال المنهج يبدو ملحاً والمدخل إلى دراسة القرآن يبدو مفصلياً في إمكانية إضافة جديدة في فهم النص واكتناه معانيه.

فإذا كان البحث الجديد مشروعاً **فلماذا نسميه قراءة وليس تفسيراً؟** والإجابة ترجع إلى بعدين الأول أن ما سيدخل تحت اسم القراءة من دراسة يختلف عما عرف من منهج للتفسير، فالاختلاف المنهجي بحد ذاته مبرر لاختلاف المصطلح، ومن ناحية أخرى فان تسمية القرآن بهذا الاسم تحمل دلالة للواجب نحوه وهو القراءة وهي ليست مجرد تلاوة لفظية ونطق لسان إنما تشمل التدبر والفهم، والمعنى اللغوي للقراءة كما تؤكد المعاجم هو الجمع لأي شيء، فقراءة القرآن جمع له ولا معنى لجمع النص إلا إدراك معانيه من متفرق ألفاظه المتسقة فيه، ومعنى الجمع هذا سنربطه بتعبير آخر له ارتباط بالنص القرآني هو الكتاب.

أما **البنية** في تعريفها الفلسفي البسيط فهي **نسق عقلاني يحدد وحدة الشيء وهي القانون الذي يفسره**[1]، هذان البعدان من مفهوم البنية هما ما سنستفيد منه في مقاربتنا، مع إدراكنا لذيول مفهوم البنية وتبعاته في مختلف السياقات والمذاهب، إلا أن هذا البعد الذي حددنا هو بعد حيادي يحيل إلى افتراض وجود نظام داخلي للشيء يعبر عن وحدته، كما يتضمن روابط

(١) انظر: **الموسوعة الفلسفية**، ط:١ معهد الإنماء العربي ١٩٨٦، ١٩٨/١.

عقلانية تفسره، ولئن كانت البنيوية كمذهب ترفض أثر أي عنصر خارجي في تفسيره، فإن مفهوم البنية إن كان يتضمن مبدأ التفسير الداخلي فإنه لا ينحصر فيه بالضرورة، لكنه يستلزم أن يكون هو الحاكم في التفسير والمنطلق.

وبالتأمل في القرآن يمكننا أن نجد فيه مفهوم البنية كأفضل مثل لها، فهو نسق واحد مترابط ترابطاً عقلانياً تعبر عنه روابط كثيرة بين آياته وسوره، وكمنطلق في الإسلام فإن للقرآن هيمنة مطلقة على ما دونه من نصوص، وأدق ما يمكن أن يكشف هذه الهيمنة هو بنية القرآن كنظام محكم، من هذا المنطلق يأتي اختيارنا لتعبير البنية كمدخل للقراءة.

ثانياً- جذور وعي القدماء ببنية النص القرآني:

نزل القرآن الكريم بلغة عربية، وكان العرب والمسلمون يتلقون القرآن ويفهمون معانيه بما يمتلكونه من فصاحة وبلاغة، ويدل وصفهم للقرآن على وعيهم به كنص يعبر عن بنية متكاملة، نجد ذلك في وصف المشركين للقرآن جملة بأنه سحر، وهو وصف ينسحب على مجمل ما سمعوه من القرآن ككل، وكذلك تعبير الوليد بن المغيرة واصفاً القرآن بقوله: "إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلوا ولا يعلى"[1]، وهذه **الأوصاف لا تتأتى إلا من خلال النظر إلى القرآن بمجمله لا بأجزاء منه**، ووصف السيدة عائشة رضي الله عنها أخلاق الرسول عندما سئلت عنها قائلة:"كان خلقه

---

(1) انظر: ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط:٣، المكتب الإسلامي – بيروت، ٤٠٣/٨.

القرآن" وربطت ذلك بتفسير قول الله عز وجل "وإنك لعلى خلق عظيم"[1]، وكأنها تعبر عن فهم عميق لتمثل الرسول ﷺ القرآن كجملة متكاملة.

وبعد عصر رسول الله ﷺ كان **الصحابة** بما تلقوه من علم عن الرسول وبما يمتلكونه من معرفة بلغة العرب يفسرون كتاب الله قدر طاقتهم، ولم يُفَسَّر القرآن جميعه، وإنما فُسِّر بعض منه، وهو ما غمض فهمه، فكان التفسير يتزايد تبعاً لتزايد الغموض، وكان واضحاً أنهم **كانوا يفهمون القرآن جملة واحدة**، يؤشر على ذلك قِلَّة الاختلاف بينهم في فهم معانيه، واكتفاؤهم بالمعنى الإجمالي، وكانوا لا يُلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلاً.

وفي عهد **التابعين** غلب على التفسير نزعة طلب الرواية لتوظيفها في التفسير فسادت الإسرائيليات وحذفت الأسانيد التي قل فيها الصحيح، وأصبح البحث عن معاني القرآن من خارجه، من خلال الروايات بالخصوص، فجاء **عصر التدوين** تالياً وولد علم التفسير المدون وهو مثقل بالإسرائيليات والروايات المشكوك فيها، حتى إن أقدم تفسير مدون وصل إلينا تفسير مقاتل (١٥٠هـ) يعتبر الأنموذج للروايات الدخيلة في علم التفسير، وتلا ذلك نشأة **مدارس التفسير** المأثور والتفسير بالرأي والتفسير الفقهي...، واستمر التفسير إلى عهدنا يتطور ويتكرر بنفس المنهجية التحليلية التي تتعامل مع القرآن كأجزاء وسور تفسر واحدة تلو الأخرى، مع تفاوت في العمق ومنزع التحليل، إذا فالنمط **الغالب على منهجية التفسير هي التجزيء والبحث في المفردات والألفاظ**، والاستنباط

---

(١) انظر: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط:مؤسسة قرطبة – القاهرة، ٩١/٦.

الفقهي والتفريع الدلالي لكل آية وما تتضمنه من معنى، وهذه المنهجية لا تكشف عن جوانب كلية في القرآن، بل حتى حول ما له صلة بالآية المدروسة لما للنظرة الكلية من أثر في اكتشاف البيان القرآني حول المسألة.

وبموازاة هذه المنهجية التحليلية كانت هناك محاولات أخرى فردية تتجه إلى دراسة القرآن من زاوية أخرى هي **الرؤية الشاملة والكلية للقرآن الكريم**، بدأ ذلك من منطلق الدفاع عن القرآن والبحث في إعجازه، وأول ما ظهر مع المعتزلة الذين اهتموا بمواضيع القرآن نظراً لاستنادهم إلى النص القرآني في احتجاجهم ودفاعهم.

فظهرت مع **الجاحظ** أولى تلك المحاولات، حيث تتبع في كتابه الحيوان ذكر النار في القرآن[1]، كما كان الجاحظ من أوائل من تنبه إلى أهمية دراسة القرآن من حيث أسلوبه ونظمه، ومع القاضي عبد الجبار تتبلور **نظرية النظم** في سياقها المعتزلي[2]، وأصبحت نظرية النظم الإطار لدراسة إعجاز القرآن، وتمثل منطلقاً مهماً للرؤية الكلية للقرآن، إذ تركز على النسق والروابط بين الكلام كما يقول **الجرجاني** "ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض"[3]، ومع **الشاطبي** نجد إضافة

---

(١) يرجع الباحثون إلى الجاحظ جذور التفسير الموضوعي، انظر: سامر عبد الرحمن رشواني، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ط: دار الملتقى- حلب٢٠٠٩، ص٨٠.

(٢) انظر:أحمد أبو زيد، **مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن**، ط:١دار الأمان ـ الرباط ١٩٨٩، ص٧١.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، المقدمة، صفحة: ق، تحقيق :رشيد رضا، ط:دار المعرفة ـ بيروت ١٩٧٨.

مهمة في النظر الكلي للقرآن، إذ يشير إلى ضرورة اعتبار الجزئي والكلي في النظر للسورة القرآنية فيرى أن النظر في السورة له اعتباران، الأول من جهة تعدد قضاياها، والاعتبار الثاني من جهة النظم، فلا بد من النظر في أول الكلام وآخره بحسب الاعتبار، فاعتبار جهة النظم لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميع السورة بالنظر[1]، فكانت **نظرية النظم من التنظيرات المبكرة للنظر الكلي إلى القرآن،** بالتركيز على الأنساق والروابط بين أجزاء النص وتراكيبه.

في سياق آخر نجد محاولة ثانية ومبكرة أيضاً هي النظر إلى أجزاء من النص تشكل شبكة من المفاتيح لفهمه وربط المعنى بين مختلف أجزائه، نلحظ ذلك من خلال **علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم،** والذي يُعنى بالألفاظ القرآنية المستخدمة على أكثر من وجه، وهو علم لصيق بعلوم العربية لكنه منحصر في السياق القرآني وتعود جذوره إلى القرن الثاني الهجري، وإن كان يبدو علماً يركز على الألفاظ والمفردات فإنه في جوهره يكشف عن جوانب من بنية النص القرآني، لاسيما محاولات اكتشاف الروابط بين مختلف هذه الوجوه والنظائر، يبرز ذلك في تأويل النظائر بالاعتماد على اللغة لا المأثور، وإرجاعها إلى أصل واحد، نجد ذلك عند **الحكيم الترمذي** في كتابه "تحصيل نظائر القرآن" إذ ينفي فيه تعدد المعاني،

---

(١) انظر: الشاطبي، **الموافقات**، ط:دار المعرفة- بيروت ١٩٧٥، ٤/٤١٥

لوجود علاقة واضحة بينها جميعاً، وحاول الترمذي تطبيق نظريته على واحد وثمانين لفظاً[1]، وبهذا الرابط بين النظائر المتعددة في النص القرآني الذي أشار إليه الحكيم الترمذي يتم اكتشاف جانب من شبكة المعاني المنثورة في بنية النص، وهي ما يمكن اعتبارها كلمات مفتاحية لفهم بنية النص كالذي عرف في المناهج اللغوية الحديثة.

وقريب من مقاربات الوجوه والنظائر ما عرف بعلم الغريب، حيث كانت بعض المؤلفات فيه كمفردات **الراغب الأصفهاني** تكشف عن ربط بين مختلف الألفاظ المنثورة في القرآن، وهو ربط يشبك المعنى بين مختلف السور، وقد تطورت دراسات المفردات القرآنية عموماً، وأصبحت مدخلاً جديداً لفهم بنية النص، وأفردت بالبحث، وظهرت العناية بفكرة المصطلح القرآني، والهاجس فيها هو الوعي بأهمية اكتشاف المعنى في القرآن من خلال بنيته.

ثالثاً- الوعي الحديث بأهمية بنية القرآن:

يمكن أن نسجل محطات مهمة في وعي المحدثين من الباحثين في الدراسات القرآنية بأهمية بنية القرآن كمدخل لدراسته، ويمكن أن نسجل منها بالخصوص المحطات التالية:

---

(1) انظر: سلوى محمد العوا، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، القاهرة: دار الشروق، ط:١/١٩٩٨م، ص:٢٣، وحول علم الوجوه والنظائر انظر: هند شلبي، **مقدمة تحقيقها لكتاب التصاريف ليحيى بن سلام** . تونس : الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٠م.

الوحدة الموضوعية والتفسير الموضوعي:

ظهر حديثاً ما يسمى بالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم[1]، وهي فكرة قديمة تجد جذورها عند الجاحظ ـ كما أشرنا ـ ، لكنها استحضرت مؤخراً كمنطلق لما غدا يعرف بالتفسير الموضوعي، الذي يسعى إلى تتبع موضوع ما في جميع القرآن، أو اكتشاف موضوع يشكل رابطاً لكل سورة بمفردها، وفي هذا المنحى في الدراسة إدراك لأهمية النظرة الكلية للقرآن واكتشاف المعنى من مجمله لا من أجزائه، لكن معظم المحاولات في التفسير الموضوعي لم تحقق الهدف إذ انطلقت من الجزء إلى الكل من خلال تجميع ما ورد في التفسير التحليلي وتركيبه بما هو عليه، فلم تختلف إلا صورة البحث وقالبه فقط ومكمن ذلك افتقارها إلى المنهجية الشمولية المنضبطة.

الكلمات المفتاحية والرؤية القرآنية للعالم:

أسهم المستشرقون بجهد مهم في الدراسات القرآنية وتركوا آثاراً متعددة، لكن الخلفية الاستشراقية حالت دون إسهام عدتهم المنهجية في تقديم نقلة نوعية في فهم القرآن ودراسته، إذ ظلت في إطار تفسير الظاهرة القرآنية

---

(١) "**الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**" عنوان كتاب أصله أطروحة دكتوراه قدمها محمد محمود حجازي في أصول الدين بالأزهر سنة ١٩٦٧، وكانت أول دراسة متخصصة تعالج أحد الأسس التي يستند إليها التفسير الموضوعي، وهو مفهوم الوحدة، واستطاع أن يقدم عدداً من الدراسات التطبيقية التي تؤكد مفهوم الوحدة وتدعمه، إن على مستوى القرآن أو على مستوى السورة.

وإرجاعها إلى تراث كتابي أو تأويل تاريخي أو تفكيكها من الداخل، ولم تتميز معظم الدراسات الاستشراقية بالجدية والصرامة المنهجية التي يمكنها التأثير في فهم القرآن، لكننا نجد استثناء مع الباحث الياباني **توشيهكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu** الذي قدم تجربة متميزة في دراسة القرآن دراسة دلالية، حاول من خلالها اكتشاف الرؤية القرآنية للعالم، وكان المنطلق واضحاً في عمله وهو التعامل مع القرآن كبنية متكاملة، والبحث فيه من خلال الكلمات المفتاحية لاكتشاف محتوى هذا النص، فحاول في كتابه "الله والإنسان في القرآن:دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم"[1] تطبيق علم الدلالة، وحاول اكتشاف النظام المفهوميّ الذي يعمل في القرآن، فتعامل مع المفهومات الفرديّة كجزء من البناء العام، أو البنية المتكاملة Gestalt التي اندمجت فيها.

إن تجربة إيزوتسو قدمت إضافة نوعية في الدراسات القرآنية من جهة إعطائها نموذجاً تطبيقياً لدراسة بنية القرآن المتكاملة، وكيفية استثمارها في

---

(١) صدر كتاب إيزوتسو Izutsu لأول مرة عام ١٩٦٤ وعنوانه : ***God And Man In The Koran:*** *Semantics of The Koranic Weltanschauung* ، عن معهد كيو للدراسات الثقافية واللغوية في طوكيو، وقد ترجم ترجمة متميزة من قبل الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب الأستاذ في كلية الآداب بجامعة حلب، وصدرت عن دار الملتقى بحلب عام ٢٠٠٧، كما صدرت للكتاب ترجمة أخرى في نفس العام عن المنظمة العربية للترجمة ببيروت أعدها الدكتور هلال محمد جهاد. هذا وللباحث إيزوتسو دراسة أخرى لا تقل أهمية حول المفهومات الأخلاقية – الدينية في القرآن:**Structure of the Ethical Terms in the Koran** وقد صدرت عام ١٩٥٩م، وكذلك قام بترجمتها الدكتور العاكوب وصدرت عن دار الملتقى بحلب ٢٠٠٨.

توضيح الرؤية القرآنية للقضايا المركزية التي تحدث عنها، وهي منهجية استثمرت علوم اللغة القديمة والحديثة بطريقة أمينة لا تستهدف التوظيف الاستشراقي المعهود، إنما قادت دراسته إلى نتائج محكمة تؤكد تماسك القرآن وانسجام بنيته، ويقدم إيزوتسو بتجربته المنهجية وما استخدمه من أدوات في تحليل بنية القرآن –وإن لم تكن كلها جديدة أو مبتكرة– إضافة نوعية في الدراسات القرآنية يمكن تطويرها والبناء عليها تنظيراً وتطبيقاً، ويمكنها أن تقدم جديداً في قراءة القرآن وفهم معانية واكتشاف جوانب جديدة من إعجازه، ومربط الإبداع في عمله الانطلاق من بنية القرآن كمدخل للقراءة، وسندرس لاحقاً منهج إيزوتسو.

الوحدة البنائية للقرآن المجيد:

في إطار الجهود الحديثة المدركة لأهمية بنية القرآن نجد تأصيل الدكتور طه جابر العلواني للموضوع تحت عنوان "الوحدة البنائية للقرآن المجيد" والتي يقصد بها "أن القرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدّد فيه أو التجزئة في آياته، أو التعضية بحيث يقبل بعضه، ويرفض بعضه الآخر، فهو بمثابة الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة أو الآية الواحدة، وإذا كانت قد تعددت آياته وسوره وأجزاؤه وأحزابه؛ فذلك التعدد ضرورة لا غنى عنها في التعليم والتعلّم، والتنزيل لتغيير الواقع وإبداله. فلم يكن في مقدور الإنسان أن يستوعب قرآناً يتصف بكل صفات القرآن ويأخذه الإنسان أو يتبناه بوصفه ذا وحدة بنائية لا تختلف عن وحدة الكلمة في حروفها، ووحدة الجملة

في كلماتها وأركانها، ووحدة الإنسان في أعضائه"[1]، ويعتبر أن معنى أي آية لن يستقيم ويتضح ما لم تقرأ في سياقها وموقعها وبيئتها وكذلك بإدراك سائر العلاقات بين الآية والقرآن كله[2]، ويتتبع الدكتور العلواني جذور الوعي بمسألة بنائية القرآن فيرجعها إلى البلاغيين ومسألة النظم، والقول بوحدة السورة، وينقد القراءة التجزيئية للقرآن، والتي لا تلحظ الروابط بين كل آية والقرآن ككل، وفيما قدمه الدكتور العلواني دعوة واضحة إلى النظرة الشاملة للقرآن والتعامل معه كبنية واحدة، لكن القارئ كان ينتظر من مقاربة "الوحدة البنائية" أن تقدم نموذجاً تحليلياً وأدوات منهجية للموضوع، وقد قدم الدكتور العلواني مثالاً للوحدة البنائية في السورة، وهي فكرة سلم بها جمهور المعنيين بالدراسات القرآنية، وما قدمه من أمثلة سبق إليه الشاطبي[3] من المتقدمين، ومحمد عبد الله دراز من المتأخرين[4].

---

(١) انظر:طه جابر العلواني، **الوحدة البنائية للقرآن المجيد**، ط:١ مكتبة الشروق– القاهرة ٢٠٠٦، ص١٤.

(٢) انظر: العلواني، م.س، ص:١٨

(٣) يقدم الإمام الشاطبي نموذجاً للوحدة الموضوعية للسورة من خلال سورة المؤمنين التي يراها نازلة في قضية واحدة هي موضوع المكيات من السور، والتي ترجع معانيها إلى أصل واحد هو الدعاء إلى عبادة الله، انظر: **الموافقات**:٤/٤١٦ وما بعدها، م.س.

(٤) يستند الدكتور محمد عبد الله دراز إلى الشاطبي في القول بوحدة السورة، ويطبق ذلك على سورة البقرة تحت عنوان (نظام المعاني في سورة البقرة) ضمن كتابه: **النبأ العظيم**، ط: دار القلم– الكويت١٩٧٠ ص ١٦٣.

المفردة القرآنية كأداة لتحليل الخطاب:

من المقاربات المهمة في دراسة القرآن من مدخل بنيته دراسة المفردة القرآنية كأداة لتحليل الخطاب، وقد حظي هذا الموضوع باهتمام خاص وتأصيل منهجي في دراسة الصديق الأستاذ عبد الرحمن الحاج الذي قدم أطروحة متميزة بعنوان:"دلالة المفردة القرآنية:دراسة لسانية أصولية مقارنة"[1] حاول فيها تتبع المنظور الأصولي واللغوي ومقارنته بالمنهج اللساني الحديث في مقاربة المفردة القرآنية، وقد جمع في دراسته بين التنظير ومحاولة التطبيق الجزئي التي قادته إلى اكتشاف ما أسماه "المركز المفهومي" الذي يدور الخطاب القرآني حوله، و"المحور التركيبي" لكل سورة وللقرآن ككل، وبالعموم فإن دراسته تمثل مدخلاً مهماً لتطوير منهجية البحث في الدراسات القرآنية، ومن مدخل بنية القرآن بشكل أساسي.

رابعاً- بنية القرآن (كلمات وكتاب):

إن أهم ما في البنية أنها نسق عقلاني يحدد وحدة الشيء وهي القانون الذي يفسره، والنسق العقلاني يكتشف من خلال مفردات البنية وأجزائها والقانون الذي يفسرها هو الروابط والعلاقات بين الأجزاء، وبهذا المعنى فإن النص القرآني يمثل نموذجاً لهذا المعنى، بل إن القرآن نفسه يشير إلى ضرورة اكتشافه من خلال هذه الزاوية، فسياق حديث القرآن عن الكلمات والكتاب يشير إلى انتظام القرآن كبنية متكاملة ونظام واحد.

---

(1) رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، ٢٠٠٦.

فتأتي كلمات الله على صورتين تكوينية تتمثل بالكون والأشياء، وتكليفية تتمثل بالنصوص المتضمنة للتعاليم الإلهية، فالكلمات هي أجزاء الكون وأجزاء النص، وهي قابلة للقراءة والمعاينة والفهم والاعتبار، فالكون المخلوق أثر بارز قد أُمر الإنسان بتدبره والنظر فيه، وكذلك كلمات الله الأخرى التي وصفها الله بأنها لا تنفد ولو نفدت طاقة الإنسان في قراءتها وملاحظة قوانينها وسننها، وهذه المقابلة بين كلمات القرآن وكلمات الكون لها دلالتها على الانتظام والدقة، وكون هذه الأجزاء دالة على كل تنضوي فيه ويمكن للمتأمل فيها أن يصل إلى تلمس جوانب هذا الكل.

وكلمات الله التكليفية باجتماعها تشكل الكتاب، وكلماته التكوينية باجتماعها تشكل الكون، وهذا تناظر آخر بين الكتاب (القرآن) والكتاب (الكون) المأمور بقراءتهما، وينتظم مفهوم الكتاب في القرآن (بمعناه غير اللغوي) ضمن محورين متكاملين: **الكتاب الإلهي المنزل** على الرسل، **والكتاب الإلهي المحيط** بالكون[1].

وفي تسمية القرآن بالكتاب دلالة على مفهوم البنية الذي أشرنا إليه، فكل ما ذكر في الكتاب من معان لغوية قريب بعضه من بعض وهو الجمع بين شيئين أو أكثر، فالكتاب هو المجموع من الحروف والكلمات الدالة على مقصود كاتبها، ويستلزم ذلك معنى لازماً له وهو **الخط الذي تجمع من خلاله الحروف والكلمات.**

---

(1) ستناول مفهوم الكتاب بدراسة مستقلة ضمن هذه السلسة.

فالجمع بين الأجزاء من خلال نظام معين هو البنية التي ينبغي الانتباه إليها وفهمها، وقد أشار القرآن إلى الأجزاء (سماها الكلمات) وإلى حصيلة اجتماعها (سماها الكتاب) ومهمة الإنسان تجاهها هي القراءة، وبالتالي اكتشاف الكل من خلال أجزائه والجزء من خلال الكل، وهذا معنى اكتشاف القرآن من خلال مفرداته وفهم مفرداته من خلال مجموعه.

إن اكتشاف إحكام آيات القرآن وتفصيلها يتضح أجلى وضوح من خلال **الدرس البنيوي للقرآن** الذي لا يفصل بين أجزائه وبين كليته، ولئن أدرك دارسو القرآن الكريم جوانب من ذلك، فإن التأصيل المنهجي لهذا الجانب لا يزال ضعيفاً، ولم يستثمر كما ينبغي، هذا فضلاً عن قلة الجانب التطبيقي الذي يعتبر أساسياً في بناء المنهج واختباره، وإن الحاجة لمحلة لإحياء الوعي بأهمية بنية القرآن كمدخل لإعادة القراءة، كونها تفتح أفقاً للإبداع في فهم القرآن وتدبر معانيه، وتعتبر الدراسة المفهومية من أهم المداخل لفهم البنية القرآنية ومعرفة كلية القرآن، فالمفهوم مفتاح أساسي في درك مكامن النص ورؤيته للعالم، لذلك لا ينفصل الدرس البنيوي عن الدرس المفهومي، فالمفهومات تكشف عن نظام البنية وتماسكها ونظامها، والبنية تسهم في الكشف عن دلالة كل مفهوم من خلال خريطته وقرائنه وسياقاته، وهذا ما يحيلنا على أدوات تسهم في هذا الدرس، ونركز بالخصوص على الدرس الدلالي وتطبيقاته عند إيزوتسو.

علم الدلالة والدرس القرآني:
مقاربة توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu نموذجاً

تمهيد:

أدرك المتقدمون ما للعلوم على اختلافها من أثر في فهم القرآن سواء بالفهم المباشر له كعلوم القرآن، أو غير المباشر كالعلوم التي تنمي ثقافة المفسر التي تؤثر بدورها في تفسيره، حتى وصل الأمر بالإمام ابن عطية الأندلسي إلى القول: "كتاب الله لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه"[1]، ولعل أهم العلوم ذات الأثر في فهم كتاب الله هي علوم اللغة، والتي شهدت تطوراً في التقعيد والتصنيف والتحليل، وقد اعتنى المسلمون مبكراً باللغة العربية، وكان الدافع الرئيس لذلك يرتبط بفهم كتاب الله عز وجل، إلا أن هناك من علوم اللغة ما هو مرتبط باللغة بالعموم وليس خاصاً بلغة بعينها، لاسيما ما له صلة بالجانب التحليلي منها، كما أن تطورات العلوم اللغوية الحديثة آلت إلى نتائج كان علماء اللغة سبقوا إليها ونصوا على مثلها، لكن ذلك لا يعني أن هذه العلوم لم تأت بإضافة يمكن الإفادة منها، فالعلوم منحة إلهية واستثمارها في الخير ينبغي أن يكون مطلباً مشروعاً بل واجباً، لاسيما إن

---

(١) ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد، ط:١- دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج١ ص٣٥

كانت تصلح لأن يفهم بها كتاب الله، لكن مقاربة كتاب الله بها ليست من الأمور السهلة أو القابلة للارتجال والتجربة السطحية، كما أن توسل هذه العلوم من خلال التجارب التي تمت لم يكن في الغالب منتجاً للعلم أو يقدم إضافة نوعية نظراً لتوسل تلك العلوم لأهداف غير علمية كما هو شأن عموم أعمال المستشرقين وتلاميذهم، على أنهم في كثير من الأحيان وجهوا العلوم التي استخدموها لاستنباط ما حرصوا على الوصول إليه، كما هو شأن أدعياء القراءة المعاصرة للقرآن الذين توسلوا مناهج مختلفة وأحياناً تجمع متناقضات منها، ليخرجوا بخليط من الأفكار غير المنسجمة والمتناقضة أحياناً ادعيت دراسة للقرآن الكريم[1]، هذه التجارب أدت إلى زيادة الوثاقة بالمنهج المعهود لدراسة القرآن ومرجعيته، والشك والحذر من أي مقاربة جديدة أو غير مألوفة في درس القرآن الكريم. لكن الإنصاف يقتضي الإقرار بأن هذا الغالب الشائع ينبغي ألا يخفي النادر المهم والمجهول والذي لم ينل حظه من العناية والتعريف به، بل تم التعتيم عليه أو التقليل من أهميته أو التشكيك في علميته كونه لم يلتق مع الرؤى الاستشراقية السائدة، أو أكد عكس ما هدفت إليه.

وسنحاول في هذا المبحث التعريف بنموذج للدراسات القرآنية الحديثة يمثل ـ فيما أرى ـ نقلة نوعية في الدرس القرآني المتوسل لعلم الدلالة منهجاً، وأقصد به أعمال الباحث الياباني الراحل توشيهيكو إيزوتسو، وسيكون تناول

---

(١) انظر:عبد الرحمن حللي، **استخدام المناهج الحديثة في دراسة الإسلام** / قراءة في كتاب الإسلام بين الرسالة والتاريخ لعبد المجيد الشرفي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: ٢٧ /٢٠٠٢.

أعماله من زاوية محددة هي استثماره علم الدلالة الحديث في دراسة القرآن الكريم، وسيتضمن المحاور التالية:

أولاً- علم الدلالة بين القديم والحديث

ثانياً- تعريف بالباحث ايزوتسو Toshihiko Izutsu:

ثالثاً- علم الدلالة ودراسة القرآن من منظور ايزوتسو:(مقاربة المنهج)

رابعاً- خلاصة وتقييم لمنهج إيزوتسو:

أولاً:علم الدلالة بين القديم والحديث:

موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى، وقد بدأ البحث عنه منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي، وقد وجد هذا مع علماء الهنود واليونان[1]، كما اهتم اللغويون العرب وعلماء الأصول بدراسة المعنى ووضعوا قواعد وأصولاً لاستنباطه، ولم يكن ثمة فصل في هذا المجال بين البحث في طرق استنباط النص وبين البحث اللغوي، بل إن مباحث الدلالة عند اللغويين تأثرت بمباحث ومناهج الأصوليين في تقعيد فهم النص[2]، وتواتر استعمال مصطلح الدلالة في التعبير عن المعنى المستنبط من النصوص والألفاظ، وكان ذلك بالخصوص في كتب الأصوليين[3]، وقد ميزت كتب الأصوليين قسماً خاصاً

---

(١) انظر:منقور عبد الجليل، **علم الدلالة:أصوله ومباحثه في التراث العربي**، ط:اتحاد الكتاب العرب- دمشق ٢٠٠١، ص١٥

(٢) انظر:منقور عبد الجليل، **علم الدلالة:أصوله ومباحثه في التراث العربي**، م.س، ص ١٦

(٣) انظر: فايز الداية، **علم الدلالة العربي:النظرية والتطبيق**، ط:٢ دار الفكر – دمشق ١٩٩٦، ص٨

بمباحث الدلالات، إذ بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند العرب، وذلك منذ أن بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية وإعجازها وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها، فكان علماء الفقه والأصوليون من أوائل من احتضنوا الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها[1]، أما اهتمام اللغويين بدراسة الدلالة فكان مقتصراً على الناحية التاريخية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى إرجاعها إلى أصل معين[2].

كل هذا الحضور للدلالة في العلوم العربية والشرعية لم ينته إلى ظهور علم مستقل باسم "علم الدلالة"، إذ ظهر هذا الإفراد في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٣م) مع اللغوي الفرنسي بريال Michel Breal ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو "علم الدلالات" ليقابل "علم الصوتيات"، وقد تم تداول اصطلاح "علم الدلالة" بإجماع لا لبس فيه والتعبير الانكليزي عنه (**Semantics**)[3]، والأصل في هذه الكلمة أنها تعني الدراسة التاريخية لتغيرات معاني الكلمات[4]، وواضح من تاريخ هذا العلم أنه تطور ليوسع مجاله إلى علوم أخرى كعلم النفس وعلم الإنسان والفلسفة والمنطق والبلاغة وعلم الاجتماع، إذ أصبحت كلمة Semantics توظف كمصطلح عام لدراسة

---

(١) انظر: عبد الكريم مجاهد، **الدلالة اللغوية عند العرب**، ط:دار الضياء ـ عمان١٩٨٥، ص٩

(٢) انظر: إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ط:٣ مكتبة الأنكلو المصرية ١٩٧٦، ص٧

(٣) انظر: فايز الداية، **علم الدلالة العربي:النظرية والتطبيق**، م.س، ص٦

(٤) انظر: عبد الكريم مجاهد، **الدلالة اللغوية عند العرب**، م.س، ص١٢

العلاقات بين الدوال والأشياء التي تدل عليها[1].

هذا التطور في علم الدلالة في سياقه الغربي استفاد من تراكمات معرفية سابقة، لكن الباحثين في هذا المجال يلاحظون أن الدراسات الدلالية أغفلت جهود الدلاليين العرب القدامى فلم تأت على ذكرهم في سلسلة تطور الاهتمام الدلالي القديم[2]، وقد أسهمت الدراسات اللغوية العربية الحديثة في إبراز جهود اللغويين والأصوليين في مجال الدلالة، ورغم هذه الجهود فإنهم لم ينكروا الإضافة العلمية في علم الدلالة الحديث وآفاق الاستفادة منه، بل أبرزوا التكامل الذي يضيفه إلى الدراسات العربية.

فقضية المعنى كموضوع لعلم الدلالة لم تعالج في المعاجم والقواميس، والتي قدمت معاني ألفاظ اللغة التي ترصدها دون أن تقدم نظرية حول طبيعة المعنى في اللغة، فما تقدمه المعاجم حكم وصفي لا يعالج سؤال (ما هو المعنى؟) الذي يهتم به علم الدلالة[3].

ومن ناحية أخرى فإن علم الدلالة اتجه إلى العوامل الخارجية ذات الأثر في الألفاظ من إنسانية واجتماعية، بل ونفسية وعاطفية، وما لهذه العوامل من أثر في انكماش بعض الألفاظ في دلالتها أو انحدار في سموها[4]. وبالتالي

---

(١) انظر: عبد الكريم مجاهد، **الدلالة اللغوية عند العرب**، م.س، ص١٢-١٣

(٢) انظر: فايز الداية، **علم الدلالة العربي:النظرية والتطبيق**، م.س، ص٨

(٣) انظر:عبد المجيد جحفة، **مدخل إلى الدلالة الحديثة**، ط:١ دار تبقال-الدار البيضاء ٢٠٠٠، ص١٤

(٤) انظر: إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، م.س، ص٧

فنحن أمام علم حديث إن لم يصل إلى نظرية نهائية متسقة في دراسة المعنى فإنه رغم ذلك يشكل إضافة مهمة في دراسة المعنى[1].

هذا الجانب الحديث في علم الدلالة هو ما سنبحث إمكانية استخدامه في فهم القرآن، لكن الحديث إلى حد الآن ما يزال في العموم وفي سياق إثبات أن هناك ما هو جديد في علم الدلالة يختلف عن النظريات الدلالية عند اللغويين والأصوليين التي لا تقل أهمية وعمقاً وثراء واتساقاً، والتحديد الدقيق سيكون لاحقاً عند الحديث عن منهج إيزوتسو ومقدماته النظرية التي ضبط من خلالها ما سيستثمره من علم الدلالة في فهم القرآن.

ثانياً:تعريف بالباحث ايزوتسو Toshihiko Izutsu:

ولد الباحث الياباني[2] Toshihiko Izutsu في طوكيو في اليابان، عام/١٩١٤، وكَانَ باحثاً ولغوياً وأستاذاً جامعياً، درَّس في معهدِ الدِراساتِ الثقافيةِ واللغويةِ من جامعةِ كيو Keio في طوكيو(١٩٥٤-١٩٦٨)، وفي المعهد الملكي لدراسة الفلسفةِ في طهران، وفي معهد الدراسات الإسلامية من جامعة مكجل McGill

---

(١) انظر: جون لاينز، **علم الدلالة**، ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرون، ط:كلية الآداب- جامعة البصرة ١٩٨٠، ص١٤

(٢) تنظر ترجمته في ترجمات كتبه، وفي موقع موسوعة ويكيبيديا على الانترنت من مدخل اسمه بالإنكليزية، (http://ar.wikipedia.org)، وقد عقد مؤخراً مؤتمر خاص عن أعمال إيزوتسو في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، أيام ٤-٢٠٠٨/٨/٦، ولم يتيسر الاطلاع على أعماله، كما نشر كتاب عنه بالانكليزية بعنوان: Consciousness and Reality: Studies in Memory of Toshihiko Izutsu By Jalāl al-Dīn Āshtiyānī, Toshihiko Izutsu By Jalāl al-Dīn Āshtiyānī, Toshihiko Izutsu. Published ٢٠٠٠ – Brill .

في مونتريال بكندا، وكان أستاذاً فخرياً وعضواً في الأكاديمية اليابانية.

ألف عدداً مِنْ الكُتُبِ عن الإسلامِ والأديانِ الأخرى، وعن اللغة والتصوف، وكان موهوباً جداً في تَعلّم اللغاتِ الأجنبيةِ، وكان على معرفة دقيقة بالعربية، والفرنسية والألمانية، فضلاً عن الإنكليزية، وهو من أوائل من ترجم القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية، وترجمته معروفة بدقتِها اللغويةِ وما زالَتْ مشهورة وكثيرة الاستعمال في الأعمال العلمية. توفي في:١يوليو/تموز ١٩٩٣، ونقل تلامذته إسلامه وأنه سمى نفسه (مختار)[1].

ألف بالإنكليزية:

١. **المفهومات الأخلاقية– الدينية في القرآن** (Ethico-Religious Concepts in the Quran) طبع منقحاً عام ١٩٦٦ وأعيد نشره عام ٢٠٠٢، وترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب، وصدرت الترجمة عن دار الملتقى بحلب ٢٠٠٨.

٢. **بين الله والإنسان في القرآن:دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم،**
GOD AND MAN IN THE KORAN: Semantics of the koranic weltanschauung

---

(١) لم تذكر مصادر ترجمته إسلامه، إنما علم ذلك من قبل تلامذته، وقد نقل إلي ذلك الصديق الدكتور محمد الطاهر الميساوي، الأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، نقلاً عمن التقى بتلامذته في اليابان، فمصدر المعلومات في ذلك هم بعض تلاميذه اليابانيين الذين يعيشون الآن في اليابان وهم مسلمون، وكذلك بعض الإيرانيين وخاصة الأستاذ الدكتور مهدي محقق، ويقال أنه مال في آخر حياته إلى رؤية أقرب إلى التصوف الذي يوحد بين الأديان.

وقد صدر للمرة الأولى بالإنكليزية عام ١٩٦٤ عن معهد جامعة كيو للدراسات الثقافية واللغوية بطوكيو. وبعد تسع سنوات على وفاته عام ١٩٩٣، صدرت طبعته الثانية بالإنكليزية أيضاً في ماليزيا عام ٢٠٠٢، وترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب، وصدرت الترجمة عن دار الملتقى بحلب ٢٠٠٧، وقد صدرت ترجمة أخرى للكتاب بعنوان: "الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، أعدها الدكتور هلال محمد الجهاد، وذلك عن المنظمة العربية للترجمة عام ٢٠٠٧.[1].

٣. **مفهوم الإيمان في علم الكلام الإسلامي** Concept of Belief in Islamic Theology صدر عام ١٩٨٠، وقد ترجم من قبل الدكتور العاكوب، وصدر عن دار الملتقى بحلب ٢٠١٠.

٤. **دراسة مقارنة للمفهومات الفلسفية الرئيسة في التصوف والطاويه** (١٩٨٤)

Sufism and Taoism: A Comparative Study of Key Philosophical Concepts

٥. **اللغة والسحر** Language and Magic (١٩٥٦).

وله باليابانية المؤلفات التالية:

١. تاريخ الفكر الإسلامي

---

(١) سأعتمد في هذا البحث على كتابيه الأولين المتعلقين بالقرآن الكريم، وترجمة الدكتور العاكوب لهما وسأختصر الإحالة إلى الكتاب الأول بـ: الله والإنسان، ص ، والإحالة على الكتاب الثاني بـ: المفهومات، ص ، وسأحاول في عرض منهجه الاعتماد ما أمكن على عبارته حرصاً على الدقة.

٢. الفلسفة الصوفية
٣. الثقافة الإسلامية
٤. الوعي والذات
٥. الكون وأضداد الكون

ومما تجدر الإشارة إليه في سياق التعريف بإيزوتسو أن **أعماله لا تصنف في سياق الدراسات الاستشراقية للقرآن والإسلام**، وذلك للأسباب التالية:

أولاً- طبيعة منطلق هذه الدراسات في السياق الياباني، فكما يؤكد الكاتب اللبناني الدكتور مسعود ضاهر فإن "الدراسات اليابانية عن الإسلام والعالم العربي أرادها واضعوها رداً موضوعياً على "الدراسات الاستشراقية" الغربية، بجناحيها الأوروبي والأميركي. **ويرفض المستعربون اليابانيون بشدة تصنيفهم كمستشرقين**، ويفضلون مصطلح الدراسات العربية في اليابانية بعد أن حمل مصطلح "الاستشراق" وزر المواقف السلبية التي عرّضت أصحابها للنقد الصارم حتى من جانب الباحثين المنصفين أو الموضوعيين في الغرب نفسه"[1].

ثانياً- ما صرح به إيزوتسو نفسه حول قصده من عمله بقوله:"وكان حاديّ في هذا الصّنيع الأملَ في أن أظلّ قادراً على الإسهام بشيء جديد **في**

---

(١) مسعود ضاهر، **الياباني إيزوتسو والرؤية القرآنية للعالم**، صحيفة المستقبل اللبنانية - العدد ٢٦٣٩- الأحد ١٠ حزيران ٢٠٠٧، وقد انتقد في المقال تصنيف المترجم هلال محمد الجهاد لإيزوتسو في سياق المستشرقين، انظر **مقدمة ترجمته**، ص ١٠، ط:١ المنظمة العربية للترجمة – بيروت ٢٠٠٧.

سبيل فَهْم أفضل لرسالة القرآن لدى أهل عصره الأوّل ولدينا نحن كذلك"[1]، وفي دراسته للمفهومات الأخلاقية يؤكد تحريه منهجاً علمياً يعتمد التجريب والاستقراء، لتحليل البنية الأساسية للحقل الدلالي للتعابير الأخلاقية، ويؤكد أهمية العلمية بحيث تتفادى قدر المستطاع التأثر بالأحكام القبلية لأي موقف نظري للفلسفة الأخلاقية[2].

ثالثاً- ما يؤكد بعد فكر إيزوتسو وتضاده مع الاستشراق ما تميزت به أعماله من الموضوعية والحياد العلمي والإنصاف، إن لم يكن الانحياز والاحترام للقرآن والإسلام، وقد تجلى ذلك فيما قام به من جهد ودراسات عن الإسلام والقرآن، فأثبت من خلالها أنه على قدر كبير من التثبت وتقليب وجهات النظر وسعة الاطلاع مما هيأ له قدرة ملحوظة على التمحيص والاختيار والبناء على أسس لها قدر كبير من القيمة[3]، بل يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، واعتبار أعماله الوجه النقيض للدراسات الاستشراقية المتعلقة بالقرآن، فأثبت في غير موضع احترامه وإجلاله للقرآن وإعجابه بلغته وإحكام آياته، وأثبت قدراً فائقاً من العلمية والتواضع عندما يبدي رأياً في فهم آية على نحو يخالف ما يتجه إليه المفسرون[4].

---

(١) **الله والإنسان**، ص٢٥

(٢) انظر: **المفهومات**، ص ٦٠

(٣) انظر:عيسى علي العاكوب، **مقدمة ترجمة "المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن"**، ط:١دار المتقى- ٢٠٠٨، ص٣١

(٤) من ذلك قوله:"والآية الآتية من سورة البقرة تفهم جيداً، **فيما أحسب**، على أنها تشير إلى هذه النقطة، برغم أنها وفقاً للتفاسير القديمة قابلة لأن تفسر بطرق أخرى كثيرة..."، **المفهومات الأخلاقية- الدينية في القرآن**، م.س، ص١٥٩

هذا ويتميز كتاباه بلغتهما السهلة وأسلوبهما المبسط الذي يبتعد عن التعقيد[1]، بشكل عام، لكن غير المختص قد يجد صعوبة في المقدمات المنهجية لجِدَّتها عليه، مع حرص واضح فيها على الضبط المنهجي المفصل للقارئ. هذا ومما يحسب له في الدقة والعلمية اعتماده المباشر على اللغة العربية وإتقانه الدقيق لتفاصيلها، بل رفضه دراسة المفهومات القرآنية من خلال لغة أخرى، إذ يؤكد هذا المبدأ بشكل عام بقوله: "وهناك في كل لغة عدد من الكلمات التي تكون عصية على الترجمة على نحو باد للعيان"[2].

كما يسجل احترامه للغة العربية وتقديره لها ولمصادر التراث الإسلامي، فيصف العربية الفصحى بأنها واحدة من اللغات المعروفة جيداً في العالم، ومزودة بأدق تفاصيل النحو والمعجم اللغوي، وفيها معجمات ممتازة، وقد أنجز كثير من الدرس المتصل بفقه اللغة، وفي حقل التفسير القرآني خاصة توجد كثير من التفاسير المعتمدة، ويؤكد اعتماده هذه المصادر كمساعدات قيمة في درسه الدلالي[3].

وهو كباحث لغوي لم ير خصوصية وتميزاً للغة العربية، إذ اعتبر مجيء القرآن بها يرجع إلى كونه أنزل على العرب، وأنها واحدة فقط من لغات كثيرة، وقد انتقده على ذلك الأستاذ الدكتور عيسى العاكوب، مؤكداً "أنّ العربيّة

---

(١) يؤكد الدكتور العاكوب ذلك في **مقدمتي الترجمة** لكتابيه، وكذلك الدكتور هلال الجهاد في مقدمة ترجمة كتابه "الله والإنسان".

(٢) **المفهومات**، ص٨١

(٣) انظر: **المفهومات**، ص٦٣

قادرةٌ على الإبانة عن مراد الله سبحانه أكثر من غيرها من اللغات بما توافر لها من وفرة في المفردات المعبرّة عن الشيء الواحد في أوضاعه وأشكاله وخاصّياته المختلفة، وبما انطوت عليه من صِيَغ حرفيّة معبّرة، وبمّا تدلّ عليه أوضاعُها التركيبيّة من دلالات، وبما يوفّره جرْسُ ألفاظها من تماثلات صوتيّة تساعد في إبهاج السّامع وإيقاظ ملكاته الإدراكية لتحصيل أكبر قدر من الطاّقة الدّلاليّة. وما لا ينبغي إغفالُه البتّة في السّياق الذي نحن فيه أنّ مادّة ع ر ب فيما يبدو تفيد البيانَ والوضوح"[1].

ثالثاً:علم الدلالة ودراسة القرآن من منظور ايزوتسو:(مقاربة المنهج)

يفتتح إيزوتسو كتابه "الله والإنسان في القرآن" بفصل خاص بعنوان (الدرس الدلالي والقرآن) يحدد من خلاله معالم دراسته فيذكر أن دلالات الألفاظ وتطوّرها، أو ما يسمّى **عِلْم الدّلالة *Semantics* تمثّل الجانبَ المنهجيّ لعمله**، بينما يمثّلُ القرآنُ جانبَه المادّي[2]، ويحدد الشريحة التي يتوجه إليها الكتاب بأنهم القرّاء الذين كان لديهم من قبْلُ معرفة عامّةً جيّدةً بالإسلام وهم، تبعاً لذلك، مستّعدون لأن يكونوا منذ البدء مهتمّين بقوّة بالمسائل المفهوميّة التي أثارها هذا الضَّرْبُ من الدَّرْس فيما يتصل بالقرآن نفسه.

ولا يتغاضى إيزوتسو عن حقيقة أنّ ما يسمّى **عِلْم الدّلالة *Semantics***

---

(١) عيسى علي العاكوب، **مقدمة ترجمة كتاب "بين الله والإنسان"**، ص٢٢

(٢) **الله والإنسان**، ص٢٨

معقَّدٌ على نحو مُذْهِل للغاية. ومن الصّعب جدّاً، هذا إن لم يكن مستحيلاً، على شخصٍ غير متخصّص أن يظفر حتّى بفكرةٍ عامّةٍ عن ماهيّة هذا العِلّم، فـ "عِلْم الدّلالة"، كما يرى إيزوتسو، من حيث هو دراسةٌ للمعنى، لا يمكن أن يكون إلاّ نمطاً جديداً من الفلسفة مبنيّاً على تصوّر جديد تماماً للكون والوجود وشاملاً لأفرع كثيرة مختلفة ومتنوّعة جدّاً من أفرع العِلْم التقليديّ، التي ما تزال حتّى الآن في أيّة حال بعيدةً عن أن تكون قد أنجزت المثَلَ الأعلى لتكاملٍ تامّ. كما يلحظ أنه **علم يفتقر إلى التناغم والانسجام**، وأن ما نمتلكه في أيدينا عددٌ من النظريات المختلفة للمعنى[1].

تأسيساً على هذه الملاحظات يسجل إيزوتسو تصوره الخاص لعلم الدلالة الذي سيعتمده في دراسته فيقول:"**عِلْم الدّلالة كما فهمتهُ هو دراسةٌ تحليلية للتعابير المفتاحية Key- terms في لغةٍ من اللغات ابتغاءَ الوصولِ أخيراً إلى إدراكٍ مفهوميٍّ للنّظرة إلى العالم Weltanschauung لدى النّاس الذين يستخدمون تلك اللّغة أداةً ليس فقط للتحدّث والتفكُّر، بل أيضاً، وهذا أكثرُ أهمّيةً، لتقديم مفهوماتٍ وتفاسير للعالَم الذي يحيط بهم.**"[2]

فهدف الدراسة الدلالية للقرآن البحث عن رؤية القرآن لكيفية بناء عالَم الوجود، وما المكوِّناتُ الرّئيسةُ للعالم، وكيف يُرْبَط بعضُها ببعض، فيكون عِلْمُ دلالات الألفاظ وتطوّرها، في هذا المعنى، نوعاً من عِلْم الوجود

---

(١) الله والإنسان، ص٢٩

(٢) الله والإنسان، ص٣٠

ontology- علم وجود محّدد وحيّ ومتحرّك[1].

ولانجاز عمله يوضح المرتكزات الأساسية التي ستضبط تحليله الدلالي، وذلك من خلال مداخل أساسية، أو مصطلحات اعتمدها أو ابتكرها ليوضح فكرته، وهي:

١-شبكة المفهومات في القرآن:

إن جوهر عمل إيزوتسو كما حدده هو **دراسةٌ تحليلية للتعابير المفتاحية في القرآن والتي تعبر عن المنظور القرآني للعالم**، لكن ذلك ليس مجرد اختيار مفهومات من المعجم اللغوي للقرآن، بل هي – كما يقول - مهمة صعبة، ذلك لأنّ هذه الكلمات أو المفهومات – كما يصفها إيزوتسو- ليست موجودةً هكذا في القرآن مستقلاً كُلٌّ منها عن الأخريات، بل إنّ كلاًّ منها تعتمد على صاحبتها اعتماداً قويّاً، وتستمدّ معانيها المحدّدة على نحو دقيق من جملة نظام العلاقات. وبكلماتٍ أُخَر، تؤلِّف فيما بينها مجموعاتٍ متنوّعة، كبيرة وصغيرةٍ، مرتبطاً كُلٌّ منها بالأخرى أيضاً بطرائق مختلفة، وهكذا تؤلّف في النهاية كُلاً منظّماً شبكةً غايةً في التعقيد والتركيب من الترابطات المفهوميّة[2]. فإيزوتسو يبحث عن النظام المفهومي الذي يعمل في القرآن، لا المفهومات الفردية منظوراً إليها بعيداً عن البناء العام، أو ما يسميه "البنية المتكاملة" التي اندمج فيها المفهوم.

---

(١) الله والإنسان، ص٣٠

(٢) الله والإنسان، ص٣١

٢-التحول الدلالي من خلال السياق القرآني:

يسجل إيزوتسو ملاحظة يعتبرها جوهرية في عمله وهي ملاحظة التحول الدلالي للمفردة اللغوية التي كانت متداولة قبل الإسلام عبر إدخالها في سياق قرآني جديد ودمجها ضمن نظام مفهومي مختلف، فألفاظ القرآن كانت متداولة، بل إنه ـ كما يرى ـ ليس من التعابير المفتاحية التي تؤدّي وظيفةً حاسمة في صياغة نظرة القرآن إلى العالَم بما فيها اسْمُ "الله" نفسُه، ما كان بأيّ معنى من المعاني تعبيراً جديداً مبتكَراً. فقد كانت كلُّها تقريباً مستخدمةً بصورةٍ أو بأخرى في الأزمنة التي سبقت الإسلام. وعندما بدأ الوَحْيُ الإسلاميّ باستخدام هذه الكلمات، كان النظامُ كلُّه، أي السّياقُ العامُّ الذي استُخدِمت فيه، هو الذي صدَم مشركي مكّة بوصفه شيئاً غريباً تماماً وغيرَ مألوف، ولذلك، غيرَ مقبول، وليس الكلماتِ الفرديّة والمفهومات نفسَها.

فـ "الكلماتُ نفسُها كانت متداولةً في القرن السّابع (الميلادي)، إن لم يكن ضمن الحدود الضّيّقة لمجتمع مكّة التجاريّ، فعلى الأقلّ في واحدةٍ من الدّوائر الدينيّة في جزيرة العرب، ما جدّ هو فقط أنّه دخلت أنظمةٌ مفهومية مختلفة. والإسلامُ جَمَعها، دَمَجَها جميعاً في شبكةٍ مفهوميّة جديدة تماماً ومجهولة حتّى الآن."[١]

ويذكر نموذجاً لذلك التحول كلمةَ "تقوى"، فالمعنى الصّميمي الأساسيّ لكلمة "**تقوى**" في الجاهلية "دفاعَ كائن حيّ، حيوان أو إنسان، عن نفسه في

(١) **الله والإنسان**، ص٣٢

مواجهة قوّة مدمِّرة آتية من الخارج". وتدخلُ هذه الكلمةُ في نظام المفهومات الإسلاميّ حاملةً معها هذا المعنى الأساسيّ نفّسه. ولكن ههنا، وتحت التأثير السّاحق لجُمْلة النظام، وخاصّة بفضل كونها الآن موضوعةً في حَقْلٍ دلالّي محدَّدٍ مؤلَّفٍ من مجموعةٍ من المفهومات عليها أن ترتبط بـ "الإيمان" أو الاعتقاد المميَّز للتوحيد الإسلاميّ، اكتسبت معنًى دينيًّاً في غاية الأهمّية: بعد أن تجتاز التقوى المرحلة المتوسّطة لـ "الخوف من العقاب الإلهيّ في يوم الحساب"، يُقصَد بها في النهاية "الورَع" الشّخصي، الصّافي والبسيط[1].

هذا ويعول إيزوتسو في الكشف عن التحول الدلالي على الشعر الجاهلي"لأنّ المعجم اللغويّ للشّعر الجاهليّ سابقٌ زمانيّاً القرآن، فتكونُ المقارنةُ بينهما يقيناً مثمرةً. ويمكن أن أنّ تلقي ضوءاً كاشفاً على المعنى "الوضْعيّ" لبعض التعابير المفتاحيّة الموجودة في القرآن. بل تسمح بأن نرى على نحو دقيق كيف ظهرت فِكَرٌ وكيف عُدّلت فِكَرٌ قديمة في جزيرة العرب في المرحلة الحاسمة الممتدّة من أواخر العصر الجاهليّ إلى أوائل العصر الإسلاميّ، وكيف أثّر التاريخ تأثيرَ وصاغ فِكْرَ النّاس وحياتهم"[2]. ويبدو إيزوتسو مقتدراً جداً على فهم الشعر الجاهلي ومعرفة تفاصيل الحياة العربية قبل الإسلام من خلاله، وهذا يؤكد درجة تمكنه من العربية[3].

---

(١) انظر:**الله والإنسان**، ص٣٨

(٢) انظر:**الله والإنسان**، ص٥٢

(٣) يلاحظ عليه المترجم الدكتور هلال الجهاد اعتماده على نشرة لديوان عنترة بن شداد تأكد فيما بعد أنها أغلب ما فيها شعر إسلامي منحول أو مزيف، ويلتمس له عذراً كون

وفي دراسته للمفهومات الأخلاقية يعدد إيزوتسو أنماطاً للتحول الدلالي في المفهومات الأخلاقية التي كانت في الجاهلية كالكرم والشجاعة والصبر...، فقد أخضعها القرآن لتحول دلالي خاص، فمنها ما وسع ومنها ما ضيق ومنها ما طور في اتجاهات جديدة تماماً[1].

٣-المعنى الوضعي والمعنى السياقي:

من المفهومات المنهجيّة في علم الدّلالة ما أسماه معنىً "وَضْعيّاً basic" ومعنىً "سياقياً relational"، فكلّ كلمةٍ مفردةٍ حين تؤخذ معزولةً يكون لها معناها الوضعيُّ الخاصّ أو محتواها المفهوميّ الذي تُبنى عليه حتّى إذا أخرجنا الكلمة من سياقها القرآنيّ. فكلمة "كتاب" مثلاً تعني أساساً الشيءَ نفسَه سواءٌ أوُجِدت في القرآن أم خارجه. فالعنصرُ الدّلالي الثابت الذي يظلّ ملازماً للكلمة حيثما يمّمت وكيفما استُخدمت، يسمّيه **المعنى "الوَضْعيّ"**، أمّا في السّياق القرآني فإنّ كلمة "كتاب" تتّخذ أهمّيةً غير عادية بوصفها العلامةَ لمفهوم دينيٍّ خاصّ جداً محاطٍ بهالة من التّقديس. وينشأ هذا عن أنّه في هذا السّياق ترتبط الكلمةُ ارتباطاً قوياً بمفهوم الوَحْي الإلهيّ، أو على الأصحّ بمفهومات مختلفة ذات صلة مباشرة بالوَحْي. فكلمة "كتاب" البسيطة بمعناها الوضعيّ الواضح "كتاب"، بمجرّد أن تدخل في نظامٍ خاصّ وتُعطى مكاناً محدَّداً

النشرة المحققة لم تصدر حتى عام ١٩٧٠ بعد تأليف الكتاب بسنوات، انظر: **مقدمة المترجم**، ص١٥-١٦.

(١) انظر: **المفهومات**، ص١٥٢-١٥٣

معيَّناً فيه تكتسب عدداً وافراً من العناصر الدّلاليّة الجديدة المنبثقة من هذا الوضع الخاصّ، وكذلك من العلاقات المختلفة بالمفهومات الرّئيسة الأخر في ذلك النّظام التي تُعدّ هذه الكلمة لتضمُّنها. وينتهي إلى أن **الكلمة في السياق القرآني المثقل بالدلالة ينبغي أن تفهم بلغة هذه التعابير المترابطة، وهذا ما يقصده بالمعنى السياقي**[1]. ويعتبر إيزوتسو في كتابه المفهومات الأخلاقية منهج التحليل الذي يعتمده نوعاً من **التفسير السياقي**، الذي يجمع ويقارن ويربط بين كل التعابير التي تتشابه وتتضاد وتتطابق فيما بينها[2].

ويسجل إيزوتسو في إطار حديثه عن السياق احتواء القرآن على منظومة مفهومية كبيرة مؤلفة من عدد من منظومات مفهومية متداخلة أصغر تسمى في علم الدلالة "**حقول الدلالة**"، كحقل الكلمات المتصلة بالنشور والحساب، والذي يسهم في اكتشاف النظرة إلى العالم في القرآن، ويسميه "حقل الأخرويات"[3].

"وكثيراً ما يحدث أنّ القوّة المعدِّلة لجُملة المنظومة تفعلُ فِعْلَها في الكلمة إلى حدّ أنها تفقد تقريباً معناها المفهوميّ الأصليّ. وعندما يحدث هذا يكون لدينا كلمةٌ مختلفة، وبتعبير آخر، نشهد ولادةَ كلمة جديدة."[4]

---

(١) انظر: **الله والإنسان**، ص٣٩-٤٠

(٢) انظر: **المفهومات**، ص٩٥-٩٦

(٣) **الله والإنسان**، ص٤١-٤٢

(٤) **الله والإنسان**، ص٤٣

٤- " التعابيرَ المفتاحيّة" : المعجم اللغوي والنظرة إلى العالم:

يؤكد إيزوتسو أن التحليل الدّلاليّ ليس تحليلاً بسيطاً للبنية الشكليّة للكلمة وليس دراسةً للمعنى الأصليّ المرتبط بصورة الكلمة، أي دراسةً تُعنى بأصل الكلمات وتاريخها. ذلك لأنّ دراسة أصل الكلمات، -كما يرى- حتىّ حين نكون محظوظين تماماً بمعرفتها، تزوّدنا فقط بمفتاح فيما يتّصل بالمعنى "الوضعي" للكلمة، ويذكّر بأن "دراسة أصل الكلمات" في أحوالٍ كثيرة تظلُّ عملاً معتمداً على التخمين، وفي معظم الأحيان لُغْزاً لا حلّ له[١]، لذلك فهو يعول على المعنى السياقي لأن الكلمات في اللّغة تؤلَّف نظاماً شديد التّماسك. والنّمط الرّئيسُ لذلك النظام يحدّده عددٌ معيّنٌ من **الكلمات الشديدة الأهمّية**.

ويلاحظ أن الكلماتُ في المعجم اللغويّ ليست على قدْرٍ واحدٍ من القيمة في تشكيل البنية الأساسيّة للتصوّر الوجوديُّ الذي يشكّل أساس المعجم، أيّاً كانت أهمّيتُها من وجهات نظر أخرى[٢]، فكل معجم لغوي يمثل ويجسد نظرة خاصة إلى العالم[٣]. ويسمي تلك الكلماتُ التي تلعبُ دوراً حاسماً في

---

(١) انظر:**الله والإنسان**، ص٤٦، يقلل إيزوتسو هنا من أهمية معرفة جذر الكلمة ويعول على السياق، ولعله في هذا يعمم المبدأ العام في اللغات فيما يخص أصول الكلمات، لكن محاولات عدة في اللغة العربية أثبتت إمكان العثور أو الاقتراب من المعنى الوضعي للكلمة ومعرفة الجذر، ولهذا الجذر أهميته في فهم المفردة القرآنية، حتى مع مراعاة المعنى السياقي الذي يعول عليه، وكان الحكيم الترمذي قد حاول ذلك في دراسة نظائر القرآن، انظر:سلوى محمد العوا، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ط:١ دار الشروق- القاهرة ١٩٩٨، ص٢٣ .

(٢) انظر:**الله والإنسان**، ص٤٧

(٣) انظر:**المفهومات**، ص٥٧

تشييد البنْية المفهوميّة الأساسيّة لنظرة القرآن إلى العالم، "**التعابيرَ المفتاحيّة للقرآن**. وتمثَّل كلماتُ: الله، الإسلام، الإيمان، الكافر، النّبيّ، الرّسول، بعضَ الأمثلة البارزة.

ويذكر أن ثمة صعوبة في عَمَلِ الدّارس الدّلاليّ في اختيار بعض التعابير المفتاحيّة لجمْلة المعجم اللغويّ في القرآن دون غيرها، ولهذه الخطوة أهمية كبرى لأنّها ستحدّد جُملةَ العمل التحليليّ اللاّحق الذي سيقوم به، ويقر بوجود قدر من الاعتباطية في هذه المرحلة لكن ذلك ليس بمشكلةً حقيقيّة، لأنّه فيما يتعلّق، على الأقلّ، بالهيكل الرّئيس للتعابير المفتاحيّة ربّما لا يوجد هناك تعارضٌ جوهريٌ، ولا أحد سيشكّ في اختيار كلماتٍ مثل إسلام، إيمان، كُفْر، نبيّ، الخ، ناهيك عن كلمة "الله" نفسها[1].

٥-الحقول الدلالية:

يقصد بالحقل الدلالي "مجموعة من الصلات الدلالية ذات طابع نمطي بين كلمات محددة في لغة من اللغات"[2]، فـ"حقول الدّلالة" هي **المناطقُ أو المقاطعُ التي شكّلتها العلاقاتُ المختلفة للكلمات فيما بينها**، ويمثل كل حقلٍ دلاليّ مجالاً مفهوميّاً مستقِلاً نسبياً مشابهاً تماماً في الطبيعة للمعجم اللغويّ. والاختلافُ بين "المعجم" و"الحقل الدّلاليّ" اختلافٌ نسبيٌّ، ومن الناحية الجوهريّة، لا يمكن أن يكون هناك اختلافٌ البتّة فيما بينها. لأنّه في

(١) انظر:**الله والإنسان**، ص٤٩

(٢) **المفهومات**،ص١٠٢

الأحوال كلّها، ليس "الحقْلُ الدّلاليُّ " كُلاًّ أقلَّ تنظيماً من "المعجم اللغويّ". لأنهّ كتلةٌ كاملة من كلماتٍ مرتّبةٍ في نمط دالٍّ ممثّلٍ لمنظومة مفهوماتٍ مرتَّبةٍ ومبنيّةٍ وفقاً لمبدأ التنظيم المفهوميّ[1].

فالمعجم اللغويّ بوصفه حقلاً مفهوميّاً واسعاً مقسّمٌ على حقول محدّدة مختلفة. ولكن كلاًّ من الحقول المحدّدة، من حيث هو قطاعٌ منظّمٌ من المعجم اللغويّ، هو نفسهُ مؤهَّلٌ تماماً لأن يسمى "معجماً لغويّاً" إذا ما كان كبيراً إلى الحدّ الذي يُعَدّ فيه وحْدةً مستقلّة. ومن الوجهة النظريّة سيكون ممكناً والحالُ كذلك **اعتبارُ المعجم اللغويّ القرآنيّ نفسه "حقلاً محّدداً"** ضمن كلٍّ أكبر كثيراً، هو المعجم اللغويّ للسان العرب في ذلك العصر. ويشترك شعراء الجاهليّة ـ وجزئيّاً أيضاً الشعراءُ المخضرمون ـ مع القرآن في مقدارٍ مهمّ من التعابير المفتاحيّة، لكنّ معجمهم اللغويّ ونظرتهم إلى العالَم مبنيّان على خطوط مختلفة جوهريًّا عن تلك التي للقرآن[2]. ويشير إيزوتسو لاحقاً إلى استخدامه مصطلحي "منظومة مفهوميّة *Conceptual System*" و"معجم لغويّ *Vocabulary*" من دون تمييز بينهما، كونهما مظهرين مختلفين لشيءٍ واحدٍ، يعني أنّ اللغويّ. هو ببساطة الجانبُ الآخر للمفهوميّ[3].

---

(١) انظر:**الله والإنسان**، ص٥٠

(٢) انظر: **الله والإنسان**، ص٥١

(٣) انظر:**الله والإنسان**، ص٦٠

٦-الكلمة الصميمة:

يقصد بـ"الكلمة الصميميّة *focus – word*" **تعبيراً مفتاحيّاً مهمّاً جدّاً** يشير ويحدّد مجالاً مفهوميّاً مستقِلاً ومتميّزاً نسبيّاً، أي "حقلاً دلاليّاً"، ضمن الكلّ الواسع للمعجم اللغويّ. فالكلمةُ الصميمية إذاً هي **المركزُ المفهوميُّ لقطاع دلاليّ مهمٍّ من المعجم اللغوي متضمّناً عدداً محدّداً من الكلمات المفتاحيّة.**

ومفهوم "الكلمة الصميميّة" مفهوم مرن، وإذا ما هُيّئت كلمةٌ لأنّ تعمل "كلمةً صميميّة" في حقل دلاليّ محدّد، فإنّ ذلك لا يمنع الكلمةَ نفسَها من أن تتصرّف بوضعها كلمةً مفتاحيّة عاديّة في حقل آخر أو حقول أخرى. ويضرب مثلاً لذلك بكلمة "إيمان" ومشتقاتها إذ تلعب في القرآن دوراً في غاية الأهميّة. ولن يعترض أحدّ على عدها كلمةً صميميّةً تحكم حقلاً خاصّاً بها. وبالتالي يمكن أن نرى عدداً معيّناً من الكلمات الأُخَر المهمّة، أي الكلمات المفتاحيّة، تتجمّع حولها بوصفها **النّواة المفهوميّة *the conceptual nucleus*** أو نقطة **البؤرة**، مشكلةً معاً مجالاً مفهوميّاً دالاً ضمن المعجم اللغويّ الشامل للقرآن[1].

ويسجل في هذا السياق أهم فكرة في كتابه "الله والإنسان في القرآن" بقوله:"ولنقل الحقيقة، **إنّ كلمة "الله" هي أسمى كلمة صميميّة في المعجم اللغويّ للقرآن، مهيمنةً على الميدان كلّه.** وما هذا سوى المظهر الدّلاليّ لما نعنيه عموماً بالقول إنّ عالَم القرآن مرتكزٌ أساساً على الله"[2].

---

(١) انظر:**الله والإنسان**، ص٥٣-٥٤

(٢) **الله والإنسان**، ص٥٦ يؤكد هذا المعنى في أماكن كثيرة من كتابيه، من ذلك قوله:" وفي المنظومة القرآنية لا يوجد حتى حقل دلالي واحد غير مرتبط بـ"الله" وغير محكوم بمفهومه

هذه هي أهم المداخل المنهجية التي أوضحها إيزوتسو في الفصول الأولى من كتابيه، وهي بالتأكيد ليست مبادئ جديدة بمفردها، إذ إنه قد استعمل بعضها في العلوم اللغوية وأصول الفقه، فمبدأ التحول الدلالي قد طبقه الأصوليون عند الحديث عن الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية، كما بحث اللغويون تحول دلالات الألفاظ في اللغة مقارنة بالشعر الجاهلي[1]، وإن كانت دراسات قليلة وجزئية ولم تتطور إلى معجم تاريخي للغة العربية، إذ من الصعوبات التي لا تخفى عند المعنيين بالقضايا اللغوية غياب معجم تاريخي للألفاظ العربية، وعدم مراعاة التطور الدلالي في المعاجم المتوفرة.

وكذلك الشأن بالنسبة لأهمية السياق النصي فقد اعتنى به المفسرون في إطار ما عرف بتفسير القرآن بالقرآن، لكن هذا الاهتمام بهذه الجوانب ظل في إطار فهم النص والمعنى، لا في إطار تحليل المفهومات القرآنية ضمن نسق محدد.

الأساسي" (**الله والإنسان**، ص٧٠)، وقوله:"لا يوجد مفهوم رئيس في القرآن يكون مستقلاً تماماً عن مفهوم الله" (**المفهومات**،ص٦٨).

(١) تجدر الإشارة هنا إلى ما قام به **أبو حاتم الرازي** في كتابه "**الزينة**" حيث تناول مجموعة من الألفاظ الإسلامية المتطورة دلالياً، يقول:"فمن الأسماء ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسام دل عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الشريعة ونزل بها القرآن، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب. وأسام جاءت في القرآن لم تكن تعرفها العرب ولا غيرهم من الأمم" (أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، تح:حسين فيض الله الهمداني، ط:٢ القاهرة ١٩٥٧، ص:١٣٤)، وحول الآفاق التطورية التي قدمها الدلاليون العرب انظر: فايز الداية، **علم الدلالة العربي:النظرية والتطبيق**، م.س، ص٢٧٤ .

رابعاً: خلاصة وتقييم امنهج إيزوتسو:

إذا أردنا أن نلخص منهج إيزوتسو في تطبيق علم الدلالة في فهم القرآن، يمكن أن نسجل النقاط التالية:

- تطبيق عِلْم الدّلالة في دراسة القرآن عند إيزوتسو هو **دراسةٌ تحليلية للتعابير المفتاحية في لغةٍ القرآن ابتغاءَ الوصولِ إلى إدراكٍ مفهوميّ للنّظرة القرآنية إلى العالم**. فهو بعبارة أخرى محاولة للكشف عن تصور الإنسان والكون والحياة كما يتجلى في القرآن.
- يؤكد إيزوتسو أن الكلمات القرآنية منثورة بشكل منظم وفائق الضبط، وثمة علاقات فيما بينها ولا يمكن فهم كلمة دون الربط بينها وبين شبكة **المنظومات المفهومية** التي تنتمي إليها.
- يستحضر إيزوتسو حقيقة أن لكل كلمة **معنى وضعياً أساسياً** لا يتغير بتغير الاستعمال، **ومعنى سياقياً يضفي على الكلمة معان جديدة** قد تقطع مع معناها الأصلي وتصبح كلمة جديدة كلياً في معناها، وهذا شأن المفردات القرآنية.
- يرى إيزوتسو أن الكشف عن الرؤية القرآنية للعالم يعتمد على دراسة ما يسميه التعابير المفتاحية في القرآن وهي **الكلمات الرئيسة التي تمثل مركزاً في فهم موضوع معين** أو حقل دلالي تنتمي إليه مجموعة أخرى من الكلمات. فثمة **حقل دلالي** (منظومة من المفهومات تدور حول موضوع مترابط، مثلاً حقل الأخرويات) **وتعابير مفتاحية** (كلمات أساسية تعتبر مفتاحاً لفهم المعاني في هذا

الحقل الدلالي، مثلاً البعث والحساب والجزاء..).

- وثمة ما يسميه **الكلمة الصميمة**، وهي **المركزُ المفهوميُّ لقطاع دلاليّ** مهمٍّ من المعجم اللغوي متضمّناً عدداً محدّداً من الكلمات المفتاحيّة، ويعتبر لفظ الجلالة هي الكلمة الصميمة للمعجم اللغوي القرآني، فكل شيء في القرآن مرتبط بها.

إدراك هذه المعطيات يجعل تصور عمل إيزوتسو واضحاً، وسيجد القارئ للكتاب نفسه بعد معرفته هذه الأمور أنه يسير بسلاسة في فهم المعنى الذي يبحث عنه إيزوتسو وهو نظرة القرآن إلى العالم، وسيجد من خلال الكتابين تطبيقات دقيقة وعميقة لما سبق من وضوح منهجي.

ولا يسع المتأمل والناقد لهذه المقدمات ولما تم من تطبيقات إلا أن يعتبرها معطيات **تقدم إضافة علمية ومنهجية في درس القرآن وتدبره**، واكتشاف إحكامه وتفصيل آياته، فالمقدمات المذكورة هي مقدمات لها سوابق في علوم اللغة والأصول لكنها لم تطبق مترابطة مع بعضها[1]، وكان الهدف منها درس المعنى الجزئي لا درس البنية المتكاملة للموضوع في كامل القرآن، فالبحث الأصولي والفقهي في المصطلحات الشرعية، والفرق بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية إنما اتجه إلى نماذج محدودة من المفردات، وهي مفردات

---

(1) يشير إيزوتسو إلى اعتماد الإمام الغزالي هذا التحليل المفهومي في دحض المفهومات التي أسس عليها الفلاسفة فكرهم، ويصف كتابه "تهافت التهافت" بقوله:"وكثير من مقاطعه يمكن أن يقدم، كما هو، مثالاً إيضاحياً للتقانة التحليلية في الدرس الدلالي الحديث"، (**بين الله والإنسان في القرآن**، ص٨٤- الحاشية).

ظاهرة التباين والاختلاف بين المعنى اللغوي والمعنى في السياق القرآني، والهدف منها البحث في الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن، أما إعمال علم الدلالة في منهج إيزوتسو فهو أشمل من المفهومات الشرعية المألوفة، ويهدف أساساً إلى **إدراك طبيعة التحول في المفهوم وكيف تم توظيفه في التحول الفكري الذي جاء به القرآن**، ومن ثم صاغ من خلاله منظراً جديداً للعالم.

فإدراك هذه المنهجية القرآنية في توظيف المفهومات وتحويلها ضمن السياق القرآني يسهم بقدر كبير في اكتشاف منهج القرآن في التغيير والدعوة، ومنهجية التغيير الاجتماعي والثقافي وصولاً إلى غرس المفهوم الإسلامي في المجتمع، باستثمار مجموعة المفهومات التي يستخدمها الأفراد بمعان مشتركة جزئياً أو مباينة كلياً للمعنى الجديد، لكن في توظيفها توطين للفكرة الجديدة في عقول المدعوين.

فهذا اللون الجديد في الدرس القرآني يمكن اعتباره تطويراً عميقاً في أكثر من مجال في العلوم الإسلامية، فهو يسهم في تطوير مناهج التفسير الموضوعي، كما يمكن اعتباره لوناً من الدرس البلاغي للقرآن، وفي إطاره الأسمى هو درس للفلسفة الإسلامية التي يقدمها القرآن للعالم، ومنهجية التغيير التي احتواها القرآن وتجسدت في عصر نزوله.

من جهة أخرى فإن هذه المنهجية يمكن توظيفها في **نقد مفهومات العلوم الإسلامية في ضوء صلتها بالمفهوم القرآني**، لاسيما المفهومات المشكلة كالتي تنتمي إلى حقل علم الكلام، وقد أشار إيزوتسو إلى ذلك، إذ يفتح إيزوتسو نافذة في هذا المنهج لدراسة المفهومات الأساسية في حقول دلالية خاصة بعد

النص القرآني كحقل التصوف وعلم الكلام والفلسفة، وغيرها، ومقارنة صلة المفهومات في هذه الحقول بالمفهوم القرآني، وهذه الزاوية تسهم في تقديم نظرة نقدية لمختلف الأنساق في العلوم الإسلامية تسهم في التقريب بينها أو ترجيح ما اختلفت فيه من خلال دقة صلتها بالمفهوم القرآني، ذلك أن هذه الدراسة للمعنى من خلال القرآن نفسه، تسهم إلى حد كبير في الحياد العلمي في دراسة القرآن، إذ طبيعة هذه المنهجية **تستبعد ابتداء الأسبقية لدى القارئ وتجعله يستسلم لما يقوده إليه النظام المفهومي والعلاقات بين الكلمات القرآنية في حقلها الدلالي.**

لكن هذا الفأل بإمكان الاستفادة من هذه المقدمات المنهجية لا يعني التسليم بتطبيقاتها إذ **قد تختلف من باحث لآخر،** فهي خاضعة للتجريب والنقد، بالقدر الذي هي **واعدة بإضافة علمية،** وكذلك الأمر بالنسبة لتطبيقات إيزوتسو نفسها فهي تحتاج إلى دراسات أخرى تسبر دقتها، إذ هي من العمق والدقة ما يحتاج إلى التتبع والتحليل بما لا يتسع له هذا مقام حتى بمستوى العرض، والأمل أن تفتح هذه الدراسة نافذة جديدة للدرس القرآني من خلال هذا النموذج الذي عرضته، فأعمال إيزوتسو – فيما أحسب- يمكن أن **تقدم إطاراً منهجياً قابلاً للتطوير والتطبيق في الدراسات القرآنية،** ويمكن لهذا الإطار أن يقدم إضافة نوعية في تدبر المعنى القرآني، واكتشاف إحكامه وتفصيله، لاسيما من زاوية دراسة المفهومات القرآنية التي نؤطر الجانب المنهجي لدرسها.

الخاتمة

رغم عناية المسلمين الفائقة بالقرآن على مدار العصور، إلا أن الظروف التاريخية التي مرت بها المعرفة الإسلامية جعلت الدراسات القرآنية أسيرة لمدونات تفسيرية معينة، وهي مدونات علمية ومهمة بطبيعة الحال، ولم تكن هناك إضافات نوعية كبيرة فيما استجد من دراسات، بما في ذلك دراسة المفهومات والمصطلحات، ويرجع ذلك إلى أزمة المنهجية في تلك الدراسات، فالإسقاط كان ولا يزال آفة الدراسات القرآنية سواء أكان التأويل فيها يرجع لرؤى عقدية أو مذهبية، بقصد أو بدونه، ودراسة النص من خلال بنيته ومفاتيحه بعيداً عن القبليات كمخرج من هذا المأزق بحاجة إلى تأطير وضبط منهجي، فكان هذا المدخل محاولة لتسليط الضوء على الآليات التي يمكن أن تسهم في تجلية معاني المفردات القرآنية المفتاحية (المفهومات)، ولا تنفصل هذه الآليات عن علوم اللغة المجال الرئيسي لفهم المعاني، فحاولنا توضيح المدخل اللغوي لفهم المفردات القرآنية، وأشرنا في هذا الصدد إلى دور الدراسات اللغوية المعاصرة في تطوير هذا المنهج، وخلصنا إلى تحديد عناصر وخطوات يمكن من خلالها الإحاطة بالمعنى المحتمل للمفردة.

لكن خطوات أساسية في هذا المجال تصطدم بعائق لغوي أشمل هو انعدام التدرج التاريخي في المعاجم العربية، لاسيما فيما يخص مرحلة ما قبل النزول، إذ معرفتها أساسية لإدراك التحول القرآني بالمفردة، وكذلك الأمر

بالنسبة لخطوات أخرى تتعلق بجوانب تاريخية يمكنها أن تضيء جوانب من المعنى المبحوث عنه، إلا أن عناصر أساسية في المنهج الذي رسمنا ملامحه متوفرة، فيمكن من خلال جمع موسوعي للمادة اللغوية للمفردة أن يتوصل إلى معنى مركزي لها يستضاء به في رحلة المفردة في السياق القرآني، ومن خلال استعمالها المستقصى والمقارن مع إدراك علاقاتها بالسياق الخاص في موضوع ورودها وفي بنية النص القرآني عموماً –كما أوضحناه في الخطوات المنهجية– يمكن اكتشاف المعنى المركزي القرآني وإدراك تنزلاته في مختلف السور والآيات، وبالتالي معرفة التحول القرآني بالمفردة من معناها اللغوي العام إلى معنى قرآني يؤسس مع المفردات المفتاحية الأخرى النظام الشامل الذي يجلِّيه القرآن حول الإنسان والكون والحياة، ولعل في هذه الخطوات المختزلة ما يمكن الباحثين من العناصر المنهجية الكفيلة فيما نرى بتقديم إضافة نوعية في تدبر القرآن، والكشف عن وجوه جديدة من إعجازه البنيوي، وفهم عالميته وطرحه الكوني.

لقد انطلقنا في بيان ما ذكر على افتراض البعد المفتاحي للمفردة في النص، وهذا البعد ليس مرتبطاً باللفظ معزولاً عن سياقه في الآية خصوصاً أو القرآن عموماً، فالمفهوم لا يفهم إلا من خلال البنية التي تَنَزَّل فيها، والحركة التي ارتبطت به، لذلك كان تأكيدنا على بنية القرآن كمدخل للفهم وإعادة القراءة، فمجمل العلاقات التي يرتبط بها المفهوم تلعب دوراً أساسياً في ضبطه، ومن خلال هذه الحركة الشاملة للمفهوم نكتشف النظام المفهومي الذي ينتمي إليه، ومكانة هذا المفهوم في الحقل الذي يَخُصُّه ضمن النظام العام

الذي تَنَزَّل به وهـو القـرآن، وكان عرضـنا لمجهـود إيزوتـسو تمثـيلاً لـصورة العلاقات التي يقوم بها المفهوم.

فالباحث في المفهومات القرآنية مضطر أن يتحرك من خلال مجموعـة من المعارف والمصادر التي يشترط معرفياً أن يمر من خلالها:

أولاً- النظر في مدلول الكلمة قبل عصر النزول، من خلال مصادر الشعر الجاهلي وكتب اللغة، أو أي مصدر يمكن أن يسهم في ذلـك، وهـذا الجانـب ليس بمتيسر دائماً نظراً لقلة المصادر التي يمكن أن تسعف به.

ثانياً- النظر في كتب اللغة والمعاجم، للوقوف على أصل الكلمـة في الوضـع والاستعمال، وجذر الكلمة والاشتقاقات، وما يـؤول إليـه الدرس اللغـوي مـن معنى يرتبط بهذا الجذر لاسيما اشتقاقاته المـستعملة في القـرآن، مـع محاولـة التحقيب التاريخي لتطور المعنى اللغوي عبر التاريخ.

ثالثاً- الجمع الإحصائي مع سبر وتقسيم لأماكن ورود المفردة في القرآن، يرافقه رصد ما هو مكي وما هو مدني، وما يمكن لحظه من قرائن اسـتعملت مع كل لفظ في كل سياق، مع مراعاة طريقة استعمالات الاشتقاقات والمقارنـة بينها، وملاحظة اختلاف الاستعمال القرآني للمفردة بـين المـستوى اللغـوي والمستوى المفهومي والمستوى الاصطلاحي.

رابعاً – النظر في فهم المفسرين للمفردة مـن خـلال المـصادر المختلفـة: (كتب الوجوه والنظائر، وكتب غريب القرآن ومعانيه، وكتب التفـسير)، وقـد يقتضي بعض المفهومات تتبع الاستعمال العلمي للمفهوم القرآني عبر الكتـب العلمية المختصة التي استعملته.

خامساً- النظر في استعمال المفهوم في نصوص السنة إن اقتضى المفهوم ذلك، لاسيما تلك التي تتصل بفهم النص القرآني.

سادساً-المقارنة بين مختلف هذه الأنساق التي تم المرور بها، باستحضار كل مرحلة في التي تليها.

وأخيراً..يمكن القول: إن من يمر بهذه المراحل بدقة علمية، لن يحتاج إلى أي إرشاد في كيفية استخلاص الطريقة الأفضل لعرض دراسته للمفهوم أو الوقوف على ما يكشفه المفهوم من عمق وآفاق، فمجموع ما ذكر من خطوات سيجعل قارئ القرآن يصل إلى نتائج باهرة تكشف عنها بنية النص القرآني، وسيجد علاقات وثيقة ومتينة بين كل مفهوم وآخر، وبين كل آية وكل سياق وكل موضوع، وسيتجلى للباحث من خلال تلك المراحل النظام المفهومي في القرآن، الذي يكشف عن المعاني والموضوعات التي تتصل بالحقل الذي ينتمي إليه المفهوم، وستكون نتيجة الدراسة المفهومية طرفاً مما أرى تسميته "التفسير البنيوي للقرآن" والذي يقود إلى لحظ "الإعجاز البنيوي" للنص.

وبطبيعة الحال ستتفاوت الدراسات للمفهومات القرآنية بحسب المفهوم المقترح دراسته، ودرجة حضوره ومركزيته في القرآن، فليست كل المفهومات على درجة واحدة في التواتر والأهمية، وكذلك بحسب ما تسعف به المصادر المختلفة من معلومات عنه، كما ستتفاوت مسالك النظر في المفهومات بحسب عمق ثقافة القارئ واختصاصه، وصلته بالعلوم اللغوية لاسيما الحديث منها، والعلوم الشرعية، والحقل الذي ينتمي إليه المفهوم، لكن أياً

يكن الأمر فإن حداً أدنى من الإضافة سيجده أي باحث يسلك ما ذكرناه من خطوات، وهي ليست المسلك الوحيد في درس المفهومات، فيمكن اجتراح مسالك أخرى[1]، لكن ما ذكرناه يشمل كل المسالك التي تؤول إلى المفهوم بصلة، ولن يجد القارئ مصداق ذلك ما لم يجرب الدرس المفهومي أو يقرأ نماذج تطبيقية، نأمل أن نقدم أمثلة لها في أعداد من هذه السلسلة.

(١) نشير في هذا المجال إلى عدد من الدراسات الجامعية التي قدمت حول المفهومات القرآنية في الجامعات المغربية، بعضها نشر والبعض الآخر لم ينشر بعد، وهي تشترك في منهجيتها مع قسم كبير من الخطوات التي أشرنا إليها.

الفهرس

مقدمة ٥

تمهيد: ٩

مناهج التفسير:محاولات الخروج من مأزق الإسقاط ١٣

المدخل اللغوي في مقاربة المنهج ١٩

المفهوم والمصطلح والفرق بينهما: ٢٧

بنية القرآن مدخلاً لإعادة القراءة ٤٣

أولاً- البنية وإعادة القراءة: ٤٣

ثانياً- جذور وعي القدماء ببنية النص القرآني: ٤٧

ثالثاً- الوعي الحديث بأهمية بنية القرآن: ٥١

رابعاً- بنية القرآن (كلمات وكتاب): ٥٦

علم الدلالة والدرس القرآني: مقاربة توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu نموذجاً ٥٩

أولاً:علم الدلالة بين القديم والحديث: ٦١

ثانياً:تعريف بالباحث ايزوتسو: ٦٤

ثالثاً:علم الدلالة ودراسة القرآن من منظور ايزوتسو:(مقاربة المنهج) ٧٠

١-شبكة المفهومات في القرآن: ٧٢

٢-التحول الدلالي من خلال السياق القرآني: ٧٣

٣-المعنى الوضعي والمعنى السياقي: ٧٥

٤- "التعابيرَ المفتاحيّة": المعجم اللغوي والنظرة إلى العالم: ٧٧
٥-الحقول الدلالية: ٧٨
٦-الكلمة الصميمة: ٨٠
الخاتمة **٨٧**

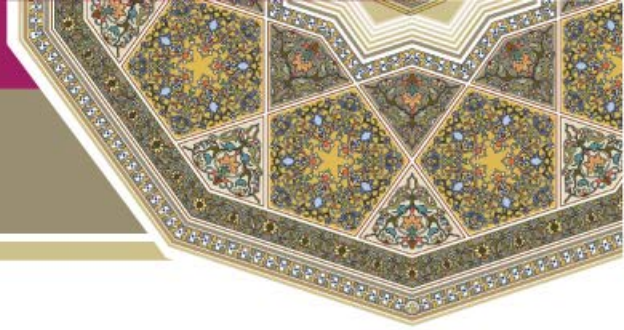

هذه السّلسلة حول "المفهومات القرآنيّة" إثراءً للمعارف القرآنيّة، فتضع مدخلاً منهجيّاً يكشف عن أفق هذا اللّون من الدّرس القرآنيّ، وتجسّد هذا الطّموح بنماذج تطبيقيّة وعمليّة لدراسة المفهومات القرآنيّة كنموذج للتّدبّر في محكم القرآن وتفصيل آياته، والمتجلّي بوضوح في ضبط المفهومات الكلّيّة المعبّر بها عن تكامل المعنى القرآنيّ في أماكن ورودها التفصيليّة، وستكون هذه السّلسلة خطّاً يشتمل على نماذج من الدّراسات المفهوميّة الّتي تنضبط بالمحدّدات المنهجيّة الّتي يرسمها المدخل إلى دراسة هذه المفهومات، والّتي تنمّ عن الآفاق الّتي يرومها هذا اللّون من الدّرس، وهي وإن بدت دراساتٍ متفرّقةً في عناوين أجزائها فإنّ الخيط المفهوميّ الجامع بينها سيقود القارئ إلى الوصل بينها وبين المفهومات القرآنيّة الأخرى، وإنّ كلّ مفهوم منها يمثّل وحدةً متكاملةً وعنصراً في حقلٍ مفهوميٍّ أشمل، ولا يدرك معناه في سياق فلكه المفهوميّ ما لم يدرس مستقلّا أولاً.

وستجعل دراسة هذه المفهومات –كنموذج- قارئ القرآن بعدها يتذوّق معنىً جديداً فيه، هو لونٌ من ألوان الإحكام والتّفصيل والتّشابه بين آياته.

وبكلمةٍ يمكن القول .. إنّها مقارباتٌ في التّدبر تبحث عن الّتي هي أقوم.

د. عبد الرحمن حللي

ISBN 978-9933-9050-9-5

9 789933 905095

دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع

www.dar-almultaka.net

دار الريادة للنشر والتوزيع